﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى اختص العلماء بوراثة الانبياء والتخلق باخلاقهم وجعلهم
القدوة للكافة فى معاشهم ومعادهم وميز المجتهدين منهم بقيامهم بمصالحهم
وايضاح الحق لهم فى مصادرهم ومواردهم وباضطرار الخلق اليهم فى قوام
ما به حياة أرواحهم وأبدانهم فهم الملوك لا بل الملوك تحت أقدامهم وفى
أسر آرائهم وأقلامهم وهم النجوم لا بل النجوم تستمد من أنوارهم وهم
الشموس لا بل الشموس تستضئ من أضوائهم وأشهد أن لا اله الا الله
وحده لا شريك له شهادة أرقى بها فى كمالات معارفهم وأشهد أن محمدا عبده
ورسوله المذيع لمعالى مناقبهم وكمالهم والمفيض عليهم من سوابق التوفيق
لاقتفاء آثاره فى سائر أحوالهم ما سبقوا به من سواهم الى الخلافة الكبرى
عنه فى الهداية والامداد للخلق ببواطنهم وظواهرهم صلى الله عليه وسلم
وعلى آله وأصحابه الذين حازوا من قصب السبق فى مضمار الكمالات
الصمدانية والمعارف المصطفوية ما صاروا به [illegible] ة الكبرى والمحجة
البيضا لارائل الخلق وأواخرهم صلاة وسلاما دائمين بد[illegible] العلماء وظهور

سوابقهم وما ثرهم ﴿وبعد﴾ فانه ورد علينا من منذ سنين بمكة المشرفة زادها الله تشريفا وتكريما وجلالة ومهابة وتعظيما رجل من فضلاء القسطنطينية وصلحائهم لجمعه بين العلوم النقلية والعقلية والقوانين الطبية والرسمية وعلوم الاخلاق والمواهب والاحوال والمطالب التى فاز بها القوم السالمون من الاعتراض واللوم سادا تنا الصوفية وأئمتنا الطائفة الجنيدية فساجلنا وساجلناه مساجلة الاحبة الذين هم على سرر متقابلون ومن بحار المعارف يغترفون الى أن انجر الكلام الى الائمة الجامعين بين العلوم الرسمية والمعارف الوهبية المتصفين بدوام الشهود وهوامع الكرم والجود فقال ذلك الفاضل العالم الكامل أود منكم مختصرا جامعا ودستورا لطيفا نافعا يشتمل على تلخيص ما أطال به الائمة فى مناقب الامام الاعظم والقدوة المقدم أبى حنيفة النعمان سقى الله مرقده شآبيب الرحمة والرضوان وأسكنه أعلى فراديس الجنان فبادرت الى امتثال أمره المحتم وبذلت الجهد فى تلخيص تلك المناقب بابه مقصد أهم فجاء بحمد الله مختصرا لطيفا وانموذجا شريفا فكتب منه نسخة وذهب به الى بلده أعظم بلاد الاسلام ومحط رحال العلماء الاعلام ومنبع الافاضل ومفزع الاماثل ثم كتبه الناس بعده واقتفوا أثره وجده وتفرقوا به فى البلدان ولم يبق عندى الا نسخة الاصل والله المستعان فاستعارها بعض الحنفية ليكتبها ويردها ثم سافر بها غير ملتفت الى عظيم وزر فقدها فتأثرت لذلك واعتمدت النظر فيما للائمة المناقب من المسائل الى ان ظفرت بكتاب جامع فيه لصاحبنا الشيخ العلامة الصالح الفهامة الثقة المطلع والحافظ المتتبع الشيخ محمد الشامى الدمشقى ثم المصرى فلخصت مقاصده وتتبعت مصادره وموارده فى هذا الكتاب البديع الجامع المحكم المنيع ﴿وسميته﴾ الخيرات الحسان فى مناقب الامام الاعظم أبى حنيفة النعمان رحمه الله عليه ورتبته على مقدمات ثلاث وأربعين فصلا

(المقدمة الاولى)

اعلم ان بعض المتعصبين من ارباب التقليد توهيناً جاء في كتاب منسوب للامام الغزالي
فيه من التعصب الفظيع وابلغ التشنيع على امام المسلمين وأوحد
الائمة المجتهدين أبي حنيفة رحمه الله ما تصم عنه الآذان ويطول عند
سماعه للموفق المنصف ليت ذلك ما كان كيف وقد أدى ذلك شمس الائمة
الكردري الى أن بسط الكلام في رد ذلك الكتاب وقابل مؤلفه مقابلة
الفاسد بالفاسد فشنع على الشافعي رحمه الله أعظم من ذلك التشنيع وبسط
الكلام بما لا يحصل من التشنيع كل ذلك منه بناء على أن ذلك الغزالي هو
الامام محمد حجة الاسلام وليس هو هو لما يأتي من استيائه من مدح أبي حنيفة
وترجمته بما يليق بعلو كماله وأيضاً فلان النسخة التي رأيتها مكتوب عليها ان
هذا الكتاب تصنيف محمود الغزالي ومحمود هذا ليس بحجة الاسلام ومن ثمة
كتب على حاشية تلك النسخة هذا تصنيف معتزلي اسمه محمود الغزالي وليس
هو حجة الاسلام قال بعض محققي الحنفية ممن أخذ العلم عن المولى سعد الدين
التفتازاني ولو فرض ان ذلك صدر عن الغزالي حجة الاسلام فهذا انما صدر
عنه حين كان متلبساً بعلوم الجدل وحظوظ طلبة العلم وأما في آخر أمره
حين تخلى عن تلك الحظوظ وأفيضت عليه سجال المعارف والشهود فقد
عرف الحق لاهله وأقره في محله والدليل على ذلك كلامه في الاحياء انتهى
ولا بأس بذكر خلاصة كلامه في الاحياء ليعلم نزاهة مؤلفه حجة الاسلام عما
نسب اليه وقبل ذلك نقدم عليه مقدمة وهي ان بعض علماء الهند اختصر
الاحياء اختصاراً بليغاً سماه عين العلم لم يسبق الى مثل اختصاره مع تعدد
مختصريه فانه أشار الى مقاصده في أوراق قليلة تكاد ان تكون من جوامع
الكلم فلذا وضعت على كتابه شرحاً له لانه لفرط ما فيه من الايجاز يكاد
أن يعد من الالغاز وعبارة ذلك المختصر مع عبارة شرحي له وتمام العبارة
سيأتي في آخر الورقة الثانية والاولى أن يختار من الائمة الاربعة من ظن انه

الفضل الا بعض أصحابهم لان مذهب أبي حنيفة انتشر الى قربه وصحح أن أبا نصر
الى ... بالعمل بها أكثر ثم قيل من أبي حنيفة ومالك والشافعي رحمهم الله
عليهم امتاز بإقليم لا يعرف فيه مذهب سواه أو يكون أتباعه فيه أكثر كأقاليم
الغرب واليمن ومصر والشام وحلب وعراق العرب والعجم بالنسبة للشافعي
رحمه الله وكالغرب والأندلس بالنسبة لمالك رحمه الله وكالروم والهند وما
وراء النهر بالنسبة لأبي حنيفة رحمه الله تعالى ثم قال المصنف كان لأبي حنيفة رحمه
الله مذهب يا معشر الحنفية فقد ورد من طريق أي يأتي الكلام عليها مبسوطا
قريبا أبو حنيفة سراج أمتي وفضله رحمه الله وما اشتهر عنه من العبادة
والورع والزهد والسخاء ودقة النظر وحدة الفكر يغني عن أن يستدل
لفضله بما أطبق العلماء عليه وصح في المنام ان الباري تعالى يقول أنا
عند علم أبي حنيفة أي بالحفظ والقبول والرضا وإنزال البركة فيه وفي
الآخذين به وسلم الفائقون سبقه في الفقه ومن ثم قال الشافعي رحمه الله
الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة وقال أيضا من أراد أن يعرف الفقه
فليلزم أبا حنيفة وأصحابه وقال أيضا قلت لمالك كيف رأيت أبا حنيفة
فقال رأيت رجلا لو كلمك في السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته ولما دخل
الشافعي بغداد زار قبره وصلى عنده ركعتين فلم يرفع يديه في التكبير وفي رواية
أن الركعتين كانتا صلاة الصبح ولم يقنت فقيل له في ذلك فقال أدبا مع هذا
الامام أن أظهر خلافه بحضرته وقال الفضيل بن عياض وناهيك به جلالة
كان أبو حنيفة معروفا بالفقه مشهورا بالورع ومن عظيم ورعه ما قاله الامام
عبد الله بن المبارك انه أراد شراء أمة فمكث عشرين سنة يستخير ويشاور في
أي سبي يشتري وقال النضر بن شميل كان الناس نياما عن الفقه حتى
أيقظهم أبو حنيفة ودخل على أمير المؤمنين المنصور وعنده عيسى بن موسى
العابد الزاهد فقال للمنصور هذا عالم الدنيا فقال له المنصور عمن أخذت
العلم قال من أصحاب عمر عن عمر ومن أصحاب علي عن علي وعن أصحاب ابن

سعود عن ابن مسعود فقال له المنصور لقد استوثقت ومع ذلك أراد هلاكه
في وقائع جرت له معه وراوده على أن يلي القضاء فلم يقبل فضربه مائة سوط
وحبس الى أن مات في الحبس على قول وضرب أيضا عشرين سوطا على أن
يلي أمر بيت المال فأبى ان يقبل وكان يقول اذا جاء الحديث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين أو عن أصحابه أخذنا ببعض أقوالهم ولم
نخرج عنها أو عن التابعين زاحمناهم وكان يقوم كل الليل بعد ان كان يحيي
نصفه فأشار اليه انسان وهو يمشي فقال هذا هو الذي يحيي كل الليل فلم يزل
بعده يحيي كل الليل وقال أنا أستحي من الله ان أوصف بعبادة ليست في وقال
بعضهم ما رأيت أصبر على الطواف والصلاة والفتيا مكة من أبي حنيفة انما
كان كل الليل والنهار في طلب الآخرة وسمع هاتفا في المنام وهو في الكعبة
يقول ان يا أبا حنيفة أخلصت خدمتي وأحسنت معرفتي فقد غفرت لك أي
لما كنت عليه من اخلاص الخدمة باحياء كل الليل وصيام أكثر الدهر وبذل
الجهد في نشر العلم على الوجه الأكمل واحسان المعرفة باتقان العلوم الظاهرة
والباطنة والاخلاص فيها ورفض الدنيا والاعراض عنها رأسا والاقبال على
الآخرة وبذل الوسع في تحصيل أسبابها ومن هذه صفاته أقرب الى رجاء
المغفرة له على وجه مخصوص لا يبقى له ذرة تقصير ولمن اتبعك بركة اخلاصك
واحسانك المذكورين الى قيام الساعة وفي هذا من البشرى له ولاتباعه
ما يحمل الموفق منهم على بذل طاقته في اقتفاء آثار امامه فيما كان عليه من
تلك الاخلاق العليه والصفات الطاهرة الزكيه التي قل أن تجتمع الا
للعارفين والائمة المجتهدين وتلمذ له كبار من المشايخ الائمة المجتهدين والعلماء
الراسخين كالامام الجليل المجمع على جلالته وبراعته وتقدمه وزهده عبد الله
ابن المبارك وكالامام الليث بن سعد وكالامام مالك بن أنس وناهيك بهؤلاء
الائمة وكالامام مسعر بن كدام وزفر وأبي يوسف ومحمد وغيرهم وتحمل لتقلد
القضاء أي لاجل أن يتولاه وكذا مفاتيح خزائن بيت المال ما تحمل من

العقوبة والضرب الشديد لما أبى عن ذلك ايثاراً لعذاب الدنيا على عذاب
الآخرة ومن ثمة لما ذكر عند عبد الله بن المبارك قال أتذكرون رجلاً
عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها وما خالط الظلمة مع سؤالهم له في ذلك
والحاحهم عليه وتهديده ان لم يفعل وما قبل منهم شيأ قط وان قل ومن ثمة
لما أرسل اليه أبو جعفر المنصور بعشرة آلاف درهم على يد الحسن بن
قحطبة ولم يمكنه ردها أوصى ابنه حماداً أنه اذا مات ودفن يردها للحسن
ففعل فقال له رحمة الله على أبيك لقد كان شحيحاً على دينه وما اشتغل بالدعوة
أي بدعوة الناس الى مذهبه الا بالاشارة النبوية في المنام اليه ليدعوهم الى
مذهبه بعد ما قصد الانزواء والاستخفاء عنهم تواضعاً واحتقاراً لنفسه عن ان
يجعل لها حظاً أو يرى منها أو لها فعلاً حسناً يستحق أن يجعل داعية الناس الى
الاقتداء والعمل به فلما جاءه الاذن ممن فوضت اليه قسمة خزائن الله تعالى
على مستحقيها علم أن ذلك أمر حتم لا بد منه فدعى الناس اليه حتى ظهر مذهبه
وانتشر وكثرت أتباعه وخذلت حساده ونفع الله به شرقاً وغرباً وعجماً وعرباً
ورزق حظاً وافراً في أتباعه فقاموا بتحرير أصول مذهبه وفروعه وأمعنوا
النظر في منقوله ومعقوله حتى صار بحمد الله محكم القواعد معدن الفوائد
ويؤيد ذلك ما حكاه بعض أصحاب المناقب أن ثابتاً والده أتى به وهو صغير لعلي
كرم الله وجهه فدعى له بالبركة وللذرية فكان ما أوتيه أبو حنيفة من بركة تلك
الدعوة وما استظل بحائط المديون حين أتاه متقاضياً تورعاً منه عن أن يرتفق
بشئ من آثار هديته واعلاماً للمدين انه لا يرغب في رفق منه فان قبوله منه
وان قل بطريق الشرع ينافي كمال المروءة والورع ومحاسن الاخلاق وكان له
رحمه الله من ذلك ومن تجنب الشبهة ما أمكنه الحظ الوافر ومن ثمة تصدق
بجميع مال أتى به وكيله اليه لما خلط به ثمن ثوب معيب بيع حال كونه مخفيا
عيبه من بائعه فهو وان لم يكن عليه اثم لجهله لكن فيه شبهة ما وانما لم يرد ثمنه
لمشتريه ويسترده كأنه للجهل بالمشتري مع اليأس من العلم به فتصدق به لما يأتي

مبسوطا في باب التوبة قيل وكان المال ثلاثين ألفا ووقع له نظائر لذلك متعددة كما في كتب المناقب ومن عظيم ورعه وزهده ما مر من قصة الجارية التي أراد أن يشتريها ومن ذلك أيضا انه ترك لحم الغنم لما فقدت شاة في الكوفة الى أن علم موتها لانه سأل عن أكثر ما تعيش فقيل له سبع سنين فترك أكل لحمها سبع سنين تورعا منه لاحتمال ان تبقى تلك الشاة الحرام فيصادف أكل شيء منها فيظلم قلبه اذ هذا هو شأن أكل الحرام وان انتفى الاثم للجهل بعين الحرام ولاجل ذلك فاز أهل الورع بما سبقوا به غيرهم من نور القلوب وتأهلهم لشهود المحبوب وقيامهم في خدمته بحسب طاقتهم واعراضهم عن القواطع عنه طرق مقدرتهم وليس ما ذكر من مناقب هذا الامام يراد به حصر مناقبه فيه بل هو قطرة من بحر لا ساحل له ومن غررها انه صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة فقيل له ما الذي قواك على هذا قال اني دعوت الله باسمائه على حروف المعجم وهي مجموعة في كل من آيتين الاولى محمد رسول الله الى آخر سورة الفتح والثانية ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا الآية في سورة آل عمران وانه كان يختم في رمضان ستين ختمة ختمة بالليل وختمة بالنهار الى غير ذلك من مناقب أخر له يعسر تعدادها فرحمه الله ورضي الله عنه وأرضاه وجعل جنات الفردوس منقلبه ومثواه انتهى كلام مختصر الاحياء مع شرحي له وبه يعلم براءة الامام الغزالي حجة الاسلام مما نسب اليه من التعصب حاشاه الله منه

﴿المقدمة الثانية﴾

في بيان أمور يعم نفعها ويقبح بالطالب جهلها اذ به يقع في ورطة عظيمة ومهوة قبيحة غير مستقيمة فتعين ايرادها أولا وايضاح ماله بها تعلق مجملا ومفصلا منها عليك أيها الموفق ان أردت النجاة في الآخرة والسلامة من خطر الوقيعة في أحد من أولياء الله تعالى وورّاث نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ان تعتقد أن كل واحد من الائمة المجتهدين والعلماء العاملين على

هدى من الله ورضوان وانهم كلهم مأجورون وانه ليس سائر الضلالات باتفاق أئمة النقل والبرهان وقد روى البيهقي انه صلى الله عليه وسلم قال مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به فلا عذر لاحد في تركه فان لم يكن في كتاب الله فسنة ماضية مني فان لم تكن سنة مني فما قال أصحابي ان أصحابي بمنزلة النجوم في السماء فأيما أخذتم به اهتديتم واختلاف أصحابي لكم رحمة ففيه اخباره صلى الله عليه وسلم باختلاف المذاهب بعده في الفروع من منذ زمن أصحابه الذي هو زمان الهدى والارشاد المشهود له من مشرفهم بانه خير القرون على الاطلاق ويلزم من اختلافهم اختلاف من بعدهم لان كل صحابي مشهور بالفقه والرواية أخذ بقوله ومذهبه جماعة ومع ذلك رضي به صلى الله عليه وسلم وأقرهم عليه ومدحهم حتى جعل نفس ذلك الاختلاف رحمة للامة وخيرهم في الاخذ بقول من شاؤا من أصحابه اللازم له الاخذ بقول من أرادوا من المجتهدين بعدهم الجارين على منوالهم والسالكين لمسالكهم في أقوالهم وأفعالهم وقد أقر صلى الله عليه وسلم اختلاف أصحابه في وقائع جرت لهم في زمنه ولم يعترض أحدا فيما قاله ورآه مخالفا لما قاله نظيره ورآه كما يشهد بذلك وقائع كثيرة شهيرة من ذلك قصة اختلافهم في أسرى بدر فأبو بكر ومن تبعه أشاروا بأخذ الفداء منهم وعمر ومن تبعه أشاروا بقتلهم فحكم صلى الله عليه وسلم بالاول ونزل القرآن بتفضيل الرأي الثاني مع تقرير الرأي الاول ففيه أوضح دليل على تصويب الرأيين وان كلا من المجتهدين مصيب ولو كان الرأي الاول خطأ لم يحكم به صلى الله عليه وسلم وقد أخبر تعالى بانه عين حكمه بقوله لولا كتاب من الله سبق وطيب الفداء بقوله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وانما وقع العتب على اختيار غير الافضل ومن ثم كان أكثر ما يقع الترجيح في المذاهب بالنظر الى الافضل من حيث قوة الادلة والقرب من الاحتياط والورع وذلك في مسائل معدودة لا من حيث مجموع المذهب وأما بالنظر الى التصويب فكله صواب وحق لا شبهة فيه ومن هذا كانت طريقة

الصوفية أعدل الطرق وأفضلها وهي الإخذ بالاشد والاحوط في كل مسئلة بحيث يخرجون من جميع الاقاويل ويأتون بعبادة مجمع على صحتها ويوافق ذلك قول أئمتنا يسن الخروج من كل خلاف لم يضعف مدركه ولم يخالف سنة صحيحة أي مخالفة صريحة لا يمكن تأويلها وقد صرحوا بانه يسن الوضوء من كل ما قيل فيه انه ناقض وكان ابن سريج يغسل اذنيه مع وجهه ويمسحهما مع رأسه ويمسحهما منفردتين احتياطا في الكل وخروجا من الخلاف ومن ذلك أيضا قصة اختلافهم في قوله صلى الله عليه وسلم حين أراد غزو بني قريظة لا يصلين احد الظهر الا في بني قريظة فانهم لما خرجوا من المدينة اليهم وقد ضاق وقت الظهر اختلفوا فصلى جماعة منهم الظهر خشية خروج وقتها واحتجوا بانه صلى الله عليه وسلم انما قال ذلك تحريضا على الاستعجال ولم يرد اخراج الصلاة عن وقتها فاستنبطوا من النص معنى بينوا به ان الحصر في قوله الا في بني قريظة اضافي لا حقيقي وامتنع آخرون عن صلاة الظهر الى ان وصلوا بني قريظة بعد دخول وقت العصر واحتجوا بانه صلى الله عليه وسلم أطلق الحصر ولم يبينه فكان المراد به حقيقته ثم بلغه اختلافهم وفعلهم فلم ينكر على أحد من الفريقين وأقر كلا على ما فهمه اشارة الى ان الكل مجتهدون مأجورون على هدى من الله تعالى فلا لوم على أحد منهم ولا ينسب اليه خلل ولا تقصير لاسيما مع استحضارك لقوله صلى الله عليه وسلم فايما أخذتم به اهتديتم فجعل الكل مهتدين فكيف مع ذلك ينسب لاحد منهم خطأ أو تقصير وأخرج ابن سعد والبيهقي عن أبي بكر رضي الله عنه انه قال كان اختلاف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للناس وأخرج ابن سعد عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انه قال ما يسرني باختلاف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حمر النعم رواه البيهقي بلفظ ما يسرني ان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا لانهم لو لم يختلفوا لم يكن رخصة ولما أراد هرون الرشيد ان يعلق موطأ مالك في الكعبة ويحمل الناس على ما فيه قال له مالك لا تفعل يا أمير

المؤمنين فان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في الفروع وتفرقوا في البلدان وان اختلاف العلماء رحمة من الله تعالى على هذه الامة كل يتبع ما صح عنده وكل مصيب وكل على هدى فقال له هرون وفقك الله يا أبا عبدالله ووقع له ذلك مع المنصور أيضا لما أراد أن يرسل الى كل مصر نسخة من كتب مالك ويأمرهم ان يعملوا بما فيها ولا يتعدوه الى غيره فقال له مالك لا تفعل هذا فان الناس قد سبقت اليهم أقاويل وسمعوا أحاديث ورووا روايات وأخذ كل قوم بما سبق اليهم ودانوا به من اختلاف الناس فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لانفسهم وبما تقرر يظهر اتجاه القول بان كل مجتهد مصيب وان حكم الله تعالى في كل واقعة تابع لظن المجتهد وهو أحد القولين للائمة الاربعة ونسب ترجيحه لاكثر الشافعية والحنفية والباقلاني ولا ينافيه الخبر الصحيح المصرح بان للمصيب أجرين وللمخطئ أجرا الا انه محمول كما قال الحافظ الجلال السيوطي على ان المخطئ من المجتهدين انما أخطأ في عدم ادراكه الافضل والاولى كما عتب على الصحابة في اختيار الفداء لانه غير الافضل مع انه حكم صواب وقد قال الفقهاء فيمن صلى رباعية الى أربع جهات كل ركعة الى جهة بالاجتهاد لا قضاء عليه مع القطع بان ثلاث ركعات منها الى غير القبلة واختلف اجتهاد عمر رضي الله عنه في الجد يقضي فيه بقضايا مختلفة وكان يقول ذلك على ما قضينا وهذا على ما نقضي وأخرج البيهقي مرسلا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقضي القضاء وينزل القرآن بغير ما قضى فيستقبل حكم القرآن ولا يرد قضاءه الاول انتهى وفيما قاله واستدل به نظر واضح لاسيما ما ذكره آخرا اذ اجتهاده صلى الله عليه وسلم معصوم من الخطأ على الصواب بخلاف اجتهاد غيره ونقل الكردري عن الشافعي رحمه الله ان المجتهدين القائلين بحكمين متباينين بمنزلة رسولين جاآ بشريعتين مختلفتين وكلاهما حق وصدق وقال الامام المازري القول بان الحق في طرفين هو ما عليه أكثر أهل التحقيق من العلماء والمتكلمين وهو مروى

من الائمة الاربعة واخبرا بانه صلى الله عليه وسلم جعل له أجرا ولو لم يصب لم يؤجر وأيضا واص اطلاق الخطأ في الخبر بانه محمول على من ذهل عن النص واجتهد فيما لا يسوغ الاجتهاد فيه من القطعيات مما خالف الاجماع فان مثل هذا اذا اتفق الخطأ فيه هو الذي يصح اطلاق الخطأ فيه وأما من اجتهد في مسئلة ليس فيها نص أي قاطع ولا اجماع فلا يطلق عليه الخطأ وأطال الامام المازري في تقرير ذلك وفي الشفاء لعياض القول بتصويب المجتهدين هو الحق والصواب عندنا وقد قال صاحب جمع الجوامع والمتكلمون عليه ونعتقد ان أبا حنيفة ومالكا والشافعي وأحمد والسفيانين والاوزاعي وابن جرير وسائر أئمة المسلمين على هدى من الله تعالى ولا التفات الى من تكلم فيهم بما هم بريئون منه فقد اوتوا من العلوم اللدنية والمواهب الالهية والاستنباطات الدقيقة والمعارف الغزيرة والدين والورع والعبادة والزهادة والجلالة بالمحل الذي لا يسامى انتهى ورأى بعض الائمة النبي صلى الله عليه وسلم وسأله عن اختلاف المجتهدين فقال كل في اجتهاده مصيب فذكر له الرائي قول أبي حنيفة المجتهدان مصيبان والحق في واحد وقول الشافعي المجتهدان مصيب ومخطئ معفو عنه فقال صلى الله عليه وسلم هما قريبان في المعنى وان كانا مختلفين في اللفظ فقلت أيهما أولى بالاخذ من الفريقين فقال صلى الله عليه وسلم كلاهما على الحق ومنها عليك أيضا ان تعتقد ان اختلاف أئمة المسلمين من أهل السنة والجماعة في الفروع نعمة كبيرة ورحمة واسعة وفضيلة واضحة وله سر لطيف أدركه العلماء العاملون وعمي عنه الجاهلون حتى قال بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم جاء بشرع واحد فمن أين مذاهب أربعة ووجه ذلك ان الله تعالى خص هذه الشريعة برفعه عن أهلها الآصار والاثقال التي كانت على الامم قبلها كتحتم القصاص في شريعة موسى عليه السلام لانه أرسل بالجلال الصرف وتحتم الدية في شريعة عيسى عليه السلام والتخيير بينهما في شريعتنا وكقرض محل النجاسة من البدن

الى شرعهم بغسلها بالماء في شرعنا وكامتناع النسخ في شريعة اليهود وجوازه في شرعنا ومن ثمة استعظموا نسخ القبلة وكتحتيم فانها الا تقرأ الا على حرف واحد وكتابنا يقرأ على حروف سبعة بل عشرة كل ذلك لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله عز قائلا وما جعل عليكم في الدين من حرج وقال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة فمن سماحتها ويسرها ورفع الآصار عنها وقوع اختلاف أئمتنا في الفروع لتكون المذاهب على اختلافها كشرائع متعددة حتى لا يضيق الامر عليهم بالتزام شيء واحد وحتى يثاب كل عامل بمذهب صحيح ويمدح عليه وحتى ان من رأى له فسحة في غير مذهبه جاز له بشرطه الانتقال اليه والعمل به وكل هذه نعم عظيمة الموقع واسعة الرفق لاسيما وهي مؤذنة بغاية رفعته صلى الله عليه وسلم وتميزه على بقية الانبياء بالتوسعة لاجله على امته بتخييرهم في الامر الواحد بالعمل بكل ما فيه سهولة لهم لتصويب كل مجتهد منهم ومدحه وان فرض خطؤه وقد قرر السبكي ان جميع الشرائع السابقة شرائع له صلى الله عليه وسلم والانبياء صلوات الله عليهم كالنواب عنه لانه نبي وآدم بين الروح والجسد فهو اذن نبي الانبياء وهذا هو معنى قوله صلى الله عليه وسلم بعثت الى الناس كافة فهو مبعوث الى الخلق كلهم من لدن آدم الى قيام الساعة انتهى واذا تقرر ان شرائع الانبياء شرائع له زيادة في تعظيمه فالشرائع التي استنبطها أصحابه وتابعوهم باحسان من أقواله وأفعاله على تنوعها شرائع متعددة له من باب أولى خصوصا وقد أخبر بوقوعها ووعد بالهداية على الاخذ بها ورضي بها ومدحنا عليها وجعل ذلك رحمة أي رحمة ومنة أي منة كما مر بيان ذلك ومن ثمة لما جعل اختلاف هذه الامة رحمة أخبر بان اختلاف الامم السابقة هلاك وعذاب أي لانهم لم يوسع لهم كما وسع لهذه الامة فكان اختلافهم محض كذب وتقول على أنبيائهم بما هم بريئون منه ومنها يتأكد عليك غاية التأكد الذي لا رخصة فيه ان لا تفضل بعض المذاهب على بعض تفضيلا يؤدي الى

تنقيص المفضل عليه فان ذلك يؤدي الى المقت والخزي في الدنيا والآخرة
وسيأتي عن الله تعالى انه قال من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب وعلماء المسلمين
العاملون كلهم أولياء الله تعالى من غير شك ولا ريب وكثيرا ما يؤدي
التفضيل الى الخصام القبيح بين السفهاء ومن لا خلاق لهم ولا دين ولا
تقوى الى ان يظهر من بعضهم قبيح العصبية وحمية الجاهلية ويفضي ذلك
بهم الى ترجيح مذهب امامه واطلاق لسانه في غيره بعدم اريب وغفلة تامة عما
يترتب بسبب ذلك من المقت والخزي والى ان يتصير بعض مقلدي مخالفه
لامامه فيرد على الاول ويطلق لسانه فيه ويتعدى الى امامه ويطلق لسانه فيه
زاعما ان ذلك من باب مقابلة الفاسد بالفاسد ولو عرض كلام كل منهما على
امامه لزجره عنه وتبرأ منه وهجره لاجله ولوقوعه بقبيح ما ارتكبه في شرك
المقت والردى اذ ربما آيس من موته على الهدى وقد أخبر ابن عباس
رضي الله عنهما بان سبب هلاك الامم السابقة تحزبهم وخصوماتهم في دين
الله فطنا الله من وعير هذه المسالك وحشرنا في زمرة أولئك الائمة فانا
نحبهم ونعظمهم بما نرجو به ان نحشر معهم على الارائك اذ من أحب قوما حشر
معهم كما أخبر به مورثهم ومشرفهم وكفى من انتقص أحدا منهم ان يحرم
هذه الموافقة في ذلك المجمع الاكبر وان ينادى عليه فيه هذا عدو أولياء الله
فليس له الا الخزي والعذاب في المحشر

﴿المقدمة الثالثة فيما ورد من تبشير النبي صلى الله عليه وسلم بالامام أبي حنيفة رحمه الله﴾

اعلم ان أعظم ذلك وأجله وأوضحه وأكمله ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي
هريرة وأبو نعيم عنه والشيرازي والطبراني عن قيس بن سعد بن عبادة
والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لو كان العلم عند الثريا لتناوله رجال من ابناء فارس ولفظ الشيرازي وأبي
نعيم لو كان العلم معلقا عند الثريا ولفظ الطبراني عن قيس لا تناله العرب لناله

رجال من ابناء فارس ولفظ مسلم لو كان الايمان عند الثريا لتناوله رجال من ابناء فارس قال الحافظ المحقق الجلال السيوطي هذا أصل صحيح يعتمد عليه في البشارة بأبي حنيفة رحمه الله وفي الفضيلة التامة له نظير الحديث الذي في مالك رحمه الله وهو قوله صلى الله عليه وسلم يوشك ان يضرب الناس اكباد الابل يطلبون العلم فلا يجدون أعلم من عالم المدينة والحديث الذي في الشافعي رحمه الله وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا قريشا فان عالمها يملأ الارض علما وهو حديث حسن له طرق كثيرة. وزعم بعضهم ونحوه وزيفوه وشنعوا على زاعمه ومخترعه قال العلماء عالم المدينة في الحديث الاول مالك وعالم قريش في الحديث الثاني الشافعي قال بعض تلامذة الجلال وما جزم به شيخنا من أن الامام أبا حنيفة هو المراد من هذا الحديث ظاهر لا شك فيه لانه لم يبلغ أحد أي في زمنه من ابناء فارس في العلم مبلغه ولا مبلغ أصحابه وفيه معجزة ظاهرة للنبي صلى الله عليه وسلم حيث أخبر عما سيقع وليس المراد بفارس البلد المعروف بل جنس من العجم وهم الفرس وسيأتي ان جد الامام أبي حنيفة منهم على ما عليه الاكثرون وفي خبر عن الديلمي خير العجم فارس قال الجلال وبهذا الخبر أي المتفق على صحته يستغنى عن الخبر الموضوع المروي في حق أبي حنيفة رحمه الله قال تلميذه المذكور أشار شيخنا بهذا الى رد ما ذكره بعض أصحاب المناقب ممن ليس له دراية بعلم الحديث فان في سنده كذابين ووضاعين ولفظ خبرهما يكون في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة النعمان هو سراج أمتي الى يوم القيامة وفي لفظ يكون في أمتي رجل اسمه النعمان وكنيته أبو حنيفة هو سراج أمتي هو سراج أمتي وفي لفظ سيأتي من بعدي رجل يقال له النعمان بن ثابت ويكنى أبا حنيفة يحيى دين الله تعالى وسنتي على يديه وفي لفظ في كل قرن من أمتي سابقون وأبو حنيفة سابق هذه الامة وفي لفظ عن ابن عباس رضي الله عنهما يطلع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر على جميع خراسان يكنى بأبي حنيفة وفي لفظ آخر عنه ان الرأي لحسن وانه يكون بعد نار أي حنيف

يجرى به الاحكام ما بقى الاسلام وانه تركنا احكاما يقوم به رجل يقال له النعمان بن ثابت الكوفى ويكنى بابى حنيفة وهو من أهل الكوفة يجيب به في العلم والفقه يسرى في الاحكام على يديه احيى الدين والرأي الحسن وفى لفظ عن ابن سيرين انه لما قص عليه منامه الاتى قال له اكشف عن ظهرك وبسار لك فكشف فرأى بين كتفيه أو عضد يساره خالا فقال صدقت أنت أبو حنيفة الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حقه يخرج من أمتى رجل يقال له أبو حنيفة بين كتفيه وفى رواية على يساره خال يحيى دين الله تعالى وسنتى على يديه وهذه كلها موضوعات لا يروج على من له أدنى المام بنقد الحديث وقد أوردها ابن الجوزى فى الموضوعات وأقره الذهبى وشيخنا الحافظ الجلال السيوطى فى مختصريهما والحافظ أبو الفضل شيخ الاسلام ابن حجر فى لسان الميزان وتبعهما الامام الحافظ الذى انتهت اليه رياسة مذهب أبى حنيفة فى زمنه الشيخ قاسم الحنفى ومن ثمة لم يورد شيأ منها أئمة الحديث الذين صنفوا فى مناقبه كالطحاوى وصاحب طبقات الحنفية محيى الدين القرشى وآخرين كلهم حنفيون ثقات اثبات نقاد لهم اطلاع كثير انتهى حاصل كلام تلميذ الجلال رحمهما الله تعالى ومن اطلع على ما يأتى فى هذا الكتاب من أحوال الامام أبى حنيفة وكراماته وأخلاقه وسيرته علم انه غنى عن ان يستشهد على فضله بخبر موضوع أو لفظ موضوع لا سيما مع ما تقرر من حديث البخارى ومسلم وغيرهما المحمول على أبى حنيفة كنظرائه من العجم ولكن هو أعلى منه وأجل كسلمان الفارسى رحمه الله وما يصلح للاستدلال به على عظم شأن أبى حنيفة رحمه الله ما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ترفع زينة الدنيا سنة خمسين ومائة ومن ثمة قال شمس الائمة الكردرى بفتح الكاف ان هذا الحديث محمول على أبى حنيفة لانه مات تلك السنة رحمة الله عليه

﴿الفصل الاول فى بيان الاسباب الحاملة على تأليف هذا الكتاب﴾ الاول

ما جاء

ما جاء عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم بسند حسن بل ذكره مسلم في مقدمة صحيحه وابن خزيمة في صحيحه قالت أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم وفي رواية للبزار أنزلوا الناس منازلهم في الخير والشر وفي أخرى أنزلوا الناس منازلهم وداروا الناس بعقولكم وجاء عن علي كرم الله وجهه من أنزل الناس منازلهم رفع المؤنة عن نفسه ٭ الثاني انه وقع في تاريخ الخطيب ومنتظم أبي الفرج بن الجوزي ذكر أشياء تنافي كمال أبي حنيفة رحمه الله على ان الخطيب ذكر من فضائله بعد ذلك بأسانيده المشهورة ما يبهر العقل ذكره بل كل من جاء بعده انما يستمد في ترجمة الامام منه وكذلك وقع في المنخول المنسوب للامام الغزالي حجة الاسلام ذكر أشياء من ذلك وانما قلنا المنسوب لانه لم يصح نسبة جميع ما في هذا الكتاب اليه فيحتمل ان تكون تلك الالفاظ الشنيعة اختلقت عليه بدليل انه مدحه في كتاب احياء علوم الدين المتواتر عنه بما يليق بكمال أبي حنيفة رحمه الله وأجاب بعض المحققين من الحنفية كما مر بأنه بتقدير صدور هذا من الغزالي فهو في حال ابتداء أمره حين كان على شأن الفقهاء المتعصبين فلما ترقى عن ذلك وظهر أخلاقه ووصل الى ما وصل اليه من الكمالات رجع عن ذلك وذكر الحق في كتاب الاحياء كما يدل لذلك قوله فيما حدث من الخلافيات والمجادلات فيها والتحريرات والتصنيفات فإياك وان تحوم حولها فاجتنبها اجتناب السم القاتل فانه الداء العضال وهو الذي رد الفقهاء كلهم لطلب المنافسة والمباهاة على ما سيأتيك تفصيل غوائلها وآفاتها وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال الناس أعداء ما جهلوا ولا تظن ذلك فعلى الخبير سقطت واقبل هذه النصيحة ممن ضيع عمره فيه زمانا وزاد فيه على الاولين تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا ثم ألهمه الله تعالى رشده وأطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه انتهى وكذلك وقع كما مر بسط الكلام فيه من بعض المتعصبين ممن يسمى بالعراقي حتى ظن انه الامام حجة

الإسلام وليس كذلك وانما هو شخص آخر مجهول له تأليف مستقل في الحط
الشنيع على أبي حنيفة رحمه الله مع نزاهته وبراءته مما نسب اليه فيه على
انه غير بعيد ان بعض الزنادقة والمحرومين من الخير اختلق ذلك ونسبه الى
ذلك الامام الكبير والعلم الشهير الذي هو حجة الاسلام ليروج على الناس
ما افتراه فكان بسبب ذلك ممن أضله الله وأعماه فحينئذ تعين على كل من قدر
على تزييف ما في الكتب وتسفيهه ان يبطل جميع ما فيها وان يكذب واضعيها
ومختلقيها بما أطبق عليه العلماء المعتبرون والائمة المجتهدون من تعظيم ذلك
الامام الاعظم والحبر المقدم امتثالا للاحاديث السابقة واللاحقة
• الثالث تبيين خطأ المتعصبين في قولهم ما تكلمنا في أبي حنيفة وغيره
الالان ذلك متعين علينا لنبين أحوال الرجال ونميز أوصافهم التي
عليها مدار الرواية والنقد والكمال وكلامهم هذا من منوال كلام
الخوارج الذي قال فيه علي كرم الله وجهه لما احتجوا عليه به كلمة حق أريد
بها باطل فكذلك كلام أولئك كلام حق في نفسه لكن أريد به باطل وأي
باطل افلم يعتمدوا في ذلك الاعلى كلمات صدرت من بعض معاصريه في حقه
حسدا له على ما آتاه الله تعالى من فضله أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله
من فضله وكذا صدر من بعض ما جاء بعده كلمات نسبوها اليه لا تصدر عمن له
أدنى كمال بل دين وليس قصدهم الا شينه واخمال ذكره ويأبى الله الا أن يتم
نوره ولو كره المشركون وكفاهم في زجرهم ونكالهم ما جاء عن النبي صلى
الله عليه وسلم بسند جيد أيما رجل أشاع على رجل بكلمة وهو منها بريء
يشينه بها في الدنيا كان حقا على الله تعالى أن يحبسه في جهنم حتى يأتي بنفاذ
ما قال وفي رواية صحيحة من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله تعالى ردغة
الخبال حتى يخرج مما قال وليس بخارج وردغة الخبال بفتح فسكون الدال
المهملة فمعجمة فخاء معجمة مفتوحة فوحدة عصارة أهل النار كما في حديث
مرفوع • الرابع تبيين أنه رحمه الله كسائر أئمة الاسلام ممن صدق عليهم

قوله تعالى ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ووجه ذلك المصدق أن كلا من أولئك الائمة المجتهدين والعلماء العاملين صحت عنه كمالات باهرة للعقول وأحوال وكرامات لا ينكرها الا المعاند الجهول فهم الاولياء على الحقيقة والجامعون بين الحقيقة والشريعة واذ قد تمهد ذلك فمنتقص أحد منهم ممن حقت عليه كلمة الطرد والمقت كيف وهو قد أدخل نفسه فيما لا طاقة له به من محاربة الله تعالى ورسوله ومن حارب الله هلك هلاكا أبديا نعوذ بالله من ذلك والدليل على هذا ما رواه الائمة البخاري وغيره من طرق كثيرة تزيد على خمسة عشر طريقا عن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تعالى قال من عادى أو أذل أو آذى أو أهان روايات لى وليا وفى رواية ولى المؤمنين فقد آذنته أى أعلمته بالحرب وفى رواية فقد استحل محاربتى وفى أخرى فقد بارزنى بالمحاربة وقوله لى ظرف لغو ويجوز أن يكون مستقرا لانه حال قدمت على صاحبها لتنكيره والمحاربة فيه من باب يخادعون الله وعاقبت اللص وحكمة ايثاره المخاطبة بما يفهم اذ الحرب ينشأ عن العداوة الناشئة عن المخالفة وغايتها اللازمة لها الهلاك أى من كره من أحببته عادانى وعاندنى ومن عاندنى فقد تعرض لاهلاكى اياه أشد الهلاك وأقطعه فاطلق الحرب وأريد لازمها واذ قد علمت هذا علمت أن فيه من الوعيد الشديد والزجر الاكيد والمنع البليغ ما يحمل من له أدنى مسكة من عقل فضلا عن دين على أن يتجنب الخوض فى شئ مما يتنقص به أحدا من أئمة الاسلام ومصابيح الظلام وأن يبالغ فى البعد عن ايذائهم بوجه من الوجوه فانه يؤذى الاموات ما يؤذى الاحياء وكيف يسع أحدا أن يقدم على شئ من ذلك والله تعالى يقول انى لاغضب لاوليائى كما يغضب الليث للحرب وفى رواية عند الامام أحمد رحمه الله عن وهب بن منبه قال قال الله عز وجل لموسى عليه السلام حين كلمه

وبجل وعلا اعلم أن من أهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ونادانى وعرض نفسه ودعانى اليها وأنا أسرع شئ الى نصرة أوليائى أيظن الذى يحاربنى أن يقاومنى أو يظن الذى يبارزنى أن يعجزنى أو يسبقنى أو يفوتنى كيف وأنا ثائر لهم فى الدنيا والآخرة فلا أكل نصرتهم الى غيرى فتأمل ثم تأمل واحذر أن تخوض غمرة هذه اللجة المهلكة فان الله تعالى لا يبالى بك فى أى واد هلكت ومن ثمة قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى كتابه تبيين كذب المفترى فيما نسب للامام أبى الحسن الاشعرى لحوم العلماء مسمومة وعادة الله فى هتك أستار منتقصيهم معلومة وقال أيضا لحوم العلماء سم من شمها مرض ومن ذاقها مات قال وقد جمع العلماء فضائلهم واعتنوا بسيرهم وأخبارهم فمن قرأ فضائل أبى حنيفة ومالك والشافعى رحمهم الله بعد فضائل الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين واعتنى بها ووقف على كريم سيرهم وهديهم كان ذلك له عملا زاكيا نفعنا الله تعالى بحب جميعهم ومن لم يحفظ من أخبارهم الا مايذكر من قول بعضهم فى بعض على الحسد والهفوات والغضب حرم التوفيق ودخل فى الغيبة وحاد عن الطريق جعلنا الله واياك ممن يستمع القول فيتبع أحسنه آمين * الخامس ان أئمة حفاظا ترجموا هذا الامام وأطالوا فى ترجمته قديما وحديثا فقصدت ان أنتظم فى سلكهم لتعود على بركة هذا الامام كما عادت عليهم وقد روى ابن الجوزى عن سفيان بن عيينة انه قال عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة وان ألخص جميع ماذكروه باوجز عباره وأبلغ اشاره معرضا عن ذكر الاسانيد معوّلا على مابسطوه منها فى كتبهم ممايزيل الشك والترديد لاعراض الناس عن المطوّلات واكبابهم على المختصرات لما ان الهمم قد تقاصرت والاغراض الفاسدة المنافية للدأب فى العلوم قد تكاثرت فلا ترى الا لهانا أمسك أشعة القمر بحسب اقتضاءات الذهب أو غريقا فى بحر شهواته التى أشغلته عن التطلع الى أدنى كمال أو أدب

﴿الفصل الثاني في ذكر نسبه﴾ اختلفوا فيه فقال أكثرهم وصححه المحققون انه من العجم وعليه ما أخرج الخطيب عن عمر بن حماد ولده انه ابن ثابت بن زوطي أي بضم الزاي كوسي وبفتحها كسلمى ابن ماه من أهل كابل أي بضم الموحدة بلدة من اقليم بناحية الهند ملكه بنو تيم الله بن ثعلبة فأسلم فأعتقوه وولد ثابت على الاسلام وقيل من أهل الانبار بفتح الهمزة ثم انتقل لنسا بفتح أوليه وبالقصر فولد له بها أبو حنيفة فلما ترعرع انتقل به وقيل من أهل ترمذ ولا مانع انه نزل هذه البلاد الاربعة فنقل كل ما حفظه وترمذ بتثليث أوله وضم الميم وكسرها وبالذال المعجمة مدينة على طرف جيحون وأخرج أيضا عن اسمعيل بن حماد أخي عمر المذكور انه قال ان ثابت بن النعمان ابن المرزبان أي بفتح فسكون فضم الزاي وقد تفتح معرب الرئيس من أبناء فارس الاحرار ووالله ما وقع لنا رق قط ذهب ثابت الى الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه صغيرا فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته ونحن نرجو من الله أن يكون استجاب ذلك فينا واهدى النعمان الى علي كرم الله وجهه فالوذجا يوم النيروز أي بفتح أوله معرب يوم جديد من أعيادهم فقال نورزونا كل يوم وقيل كان في المهرجان أي معرب محبة الروح هكذا مركب من مهر بكسر أوله وجان فقال علي كرم الله وجهه مهرجونا كل يوم وتخالف الاخوين في أن والد ثابت النعمان أو زوطي وجده المرزبان أو ماه أجيب عنه بانه يحتمل أن يكون لكل اسمان أو اسم ولقب أو معنى زوطي النعمان والمرزبان ماه وتخالفهما في مس الرق يجاب عنه بان من أثبته أراد في الجد ومن نفاه أراد في الاب الذي هو ثابت لكن قال ولد لاسمعيل المذكور انهم موالي وان المسبي من كابل هو ثابت فاشترته امرأة من بني تيم الله فاعتقته وقيل ثابت بن طاوس بن هرمز ملك بني ساسان وقيل انه عربي فزوطي من بني يحيي بن زيد بن أسد وفي نسخة ابن راشد الانصاري ورد وقد ا ح جماعة من أصحاب المناقب ما مر عن حفيديه فانهما أعرف بنسب

جدهما

﴿الفصل الثالث في مولده﴾ الاكثرون على انه ولد سنة ثمانين بالكوفة في خلافة عبد الملك بن مروان وردوا ما شذ به بعضهم انه ولد سنة احدى وستين

﴿الفصل الرابع في اسمه﴾ اتفقوا على أنه النعمان وفيه سر لطيف اذ أصل النعمان الدم الذي به قوام البدن ومن ثمة ذهب بعضهم الى أنه الروح فابو حنيفة رحمه الله به قوام الفقه ومنه منشأ مداركه وعويصاته أو نبت أحمر طيب الريح الشقيق أو الارجوان بضم الهمزة فابو حنيفة رحمه الله طابت خلاله وبلغ الغاية كماله أو فعلان من النعمة فابو حنيفة نعمة الله على خلقه وتحذف أل عند التنكير والنداء والاضافة وحذفها لغير ذلك نادر وقال ابن مالك حذفها واثباتها سيان واعترض وعلى أن كنيته أبو حنيفة مؤنث حنيف وهو الناسك أو المسلم لان الحنف الميل والمسلم مائل الى الدين الحق قيل سبب تكنيته بذلك ملازمته للدواة المسماة حنيفة بلغة العراق وقيل كانت له بنت تسمى بذلك ورد بأنه لا يعلم له ولد ذكر ولا أنثى غير حماد وأخرج الخطيب وغيره عنه بسند فيه انقطاع لا يكنى بكنيتي بعدي الا مجنون قالوا فرأينا عدة تكنوا بها وكانت عقولهم ضعيفة وعورضوا بانه كنى بها نحو ثلاثين وكانوا أئمة علماء كالايقاني والدينوري ولم يسبق بهذه الكنية نعم وجدت لتابعين مجهولين

﴿الفصل الخامس في صورته﴾ قال أبو يوسف رحمه الله كان ربعة من أحسن الناس صورة وأبلغهم نطقا وأكملهم ايرادا وأحلاهم نغمة وأبينهم حجة على ما يريد وقال حماد ولده كان طويلا يعلوه سمرة جميلا حسن الوجه هيوبا لا يتكلم الا جوابا ولا يخوض فيما لا يعنيه ولا تنافي بين كونه ربعة وبين كونه طويلا لانه قد يكون مع كونه ربعة أقرب الى الطول كما حررته في شرح شمائل الترمذي وقال ابن المبارك كان حسن الوجه حسن الثياب

﴿الفصل السادس فيمن أدركهم من الصحابة رضي الله عنهم﴾ صح كما قاله

الذهبي انه رأى أنس بن مالك وهو صغير وفي رواية رأيته مرارا وكان يخضب بالحمرة وأكثر المحدثين على أن التابعين من لقي الصحابي وان لم يصحبه وصححه النووي كابن الصلاح وجاء من طرق انه روى عن أنس أحاديث ثلاثة لكن قال أئمة الحديث مدارها على من اتهمه الائمة بوضع الاحاديث وفي فتاوى شيخ الاسلام ابن حجر انه أدرك جماعة من الصحابة كانوا بالكوفة بعد مولده بها سنة ثمانين فهو من طبقة التابعين ولم يثبت ذلك لاحد من أئمة الامصار المعاصرين له كالاوزاعي بالشام والحمادين بالبصرة والثوري بالكوفة ومالك بالمدينة الشريفة والليث بن سعد بمصر انتهى وحينئذ فهو من أعيان التابعين الذين شملهم قوله تعالى والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وذكر جماعة ممن صنف في المناقب وغيرهم انه سمع أيضا من جماعة من الصحابة غير أنس منهم عمرو بن حريث واعترض بان الصحيح انه مات سنة خمس وثمانين والقول بانه عاش الى سنة ثمان وتسعين لم يثبت وأجيب بان الصواب الذي عليه جمهور المحدثين واستقر عليه العمل ان الصغير اذا ميز صح سماعه وان كان ابن خمس سنين ومنهم عبد الله بن أنيس الجهني واعترض بانه مات سنة أربع وخمسين وأجيب بان هذا اسم لخمسة من الصحابة فلعل من روى عنه أبو حنيفة واحد غير الجهني المشهور ورد بان غير هذا لم يدخل الكوفة وأخرج بعضهم بسنده الى أبي حنيفة قال ولدت سنة ثمانين وقدم عبد الله بن أنيس صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوفة سنة أربع وتسعين ورأيته وسمعت منه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصم واعترض بان هذا السند مجهول وبان الذي دخل الكوفة ابن أنيس الجهني وقد تقرر انه مات قبل ولادة أبي حنيفة بدهر ومنهم عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي بفتح الجيم وسكون الزاي وبالهمزة والزبيدي بضم الزاي مصغرا واعترض بانه مات

سنة ست وثمانين بعمر أي بسقط أبي تراب قرية من القرية قريب سمنود
والمحلة وكان مقيما بها وأما ما جاء عن أبي حنيفة من أنه حج مع أبيه سنة ست
وتسعين وأنه رأى عبد الله هذا يدرس بالمسجد الحرام وسمع منه حديثا فرواه
جماعة منهم الشيخ قاسم الحنفي من مشايخ مشايخنا بأن سند ذلك فيه قلب
وتحريف وفيه كذاب اتفاقا وبأن ابن جزء مات بمصر ولأبي حنيفة ست سنين
وبأن عبد الله بن جزء لم يدخل الكوفة في تلك المدة ومنهم جابر بن عبد الله
واعترض بأنه مات سنة تسع وسبعين قبل ولادة أبي حنيفة بسنة ومن ثم قالوا
في الحديث المروي عن أبي حنيفة عن جابر أنه صلى الله عليه وسلم أمر من لم
يرزق ولدا بكثرة الاستغفار والصدقة ففعل فولد له تسعة ذكور أنه حديث
موضوع ومنهم عبد الله بن أبي أوفى وتعقب بأنه مات سنة خمس أو سبع وثمانين
وأجيب بما مر في عمرو بن حريث ومن ثم جاء عن أبي حنيفة أنه روى عن عبد
الله هذا الحديث المتواتر من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة أي بفتح الميم بنى
الله له بيتا في الجنة قال بعضهم لعل أبا حنيفة سمعه منه وعمره خمس أو سبع
ومنهم واثلة بكسر المثلثة ابن الأسقع بالقاف روى عنه حديثين لا تظهر
الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك دع ما يريبك إلى ما لا يريبك الأول
رواه الترمذي من وجه آخر وحسنه والثاني جاء من رواية جمع من الصحابة
وصححه الأئمة واعترض بأنه مات سنة ثلاث أو خمس وثمانين وجوابه ما مر
آنفا ومنهم معقل بن يسار واعترض بأنه مات في إمارة معاوية رضي الله
عنه ومعاوية مات سنة ستين ومنهم أبو الطفيل عامر بن واثلة ووفاته سنة
اثنتين ومائة بمكة وهو آخر الصحابة موتا ومنهم عائشة بنت عجرد واعترض
بأن حاصل كلام الذهبي وشيخ الإسلام ابن حجر أن هذه لا صحبة لها وأنها
لا تكاد تعرف وبذلك رد ما روي أن أبا حنيفة روى عنها هذا الحديث
الصحيح أكثر جند الله تعالى في الأرض الجراد لا آكله ولا أحرمه ومنهم
سهل بن سعد ووفاته سنة ثمان وثمانين وقيل بعدها ومنهم السائب بن

تعلاد بن سويد ووفاته سنة احدى وتسعين ومنهم السائب بن يزيد بن سعيد ووفاته سنة احدى أو اثنتين أو أربع وتسعين ومنهم عبد الله بن بسرة ووفاته سنة ست وتسعين ومنهم محمود بن الربيع ووفاته سنة تسع وتسعين ومنهم عبد الله بن جعفر واعترض بانه مات سنة ثمانين بارض حمص ومنهم أبو أمامة واعترض بانه مات سنة احدى وثمانين بارض حمص ﴿تنبيه﴾ قال بعض متأخري المحدثين ممن صنف في مناقب الامام أبي حنيفة كتابا حافلا ما حاصله جزم خلائق من أئمة الحديث بانه لم يسمع من أحد من الصحابة شيأ واحتجوا باشياء منها ان أئمة أصحابه الاكابر كابي يوسف ومحمد وابن المبارك وعبد الرزاق وغيرهم لم ينقلوا عنه شيأ من ذلك ولو كان لنقلوه فانه مما يتنافس فيه المحدثون ويعظم افتخارهم به فان كل سند فيه انه سمع من صحابي لا يخلو من كذاب وباشياء أخر قالوا واما رؤيته لانس وادراكه لجماعة من الصحابة بالسن فصحيحان لا شك فيهما وما وقع للعيني انه أثبت سماعه من الصحابة رده عليه صاحبه الشيخ الحافظ قاسم الحنفي والظاهر ان سبب عدم سماعه ممن أدركه من الصحابة انه أول أمره اشتغل بالاكتساب حتى أرشده الشعبي لما رأى من باهر نجابته الى الاشتغال بالعلم ولا يسع من له أدنى المام بعلم الحديث ان يذكر خلاف ما ذكرته انتهى حاصل كلام ذلك المحدث وقاعدة المحدثين ان راوي الاتصال مقدم على راوي الارسال والانقطاع لان معه زيادة علم تؤيد ما قاله العيني فاحفظ ذلك فانه مهم

﴿الفصل السابع في ذكر شيوخه﴾ هم كثيرون لا يسع هذا المختصر ذكرهم وقد ذكر منهم الامام أبو حفص الكبير أربعة آلاف شيخ وقال غيره له أربعة آلاف شيخ من التابعين فما بالك بغيرهم منهم الليث بن سعد وكذا مالك ابن أنس امام دار الهجرة على ما ذكره الدارقطني وجماعة آخرهم أبو محمد العيني بل قال بعضهم انه رأى في مسند الامام أبي حنيفة التحديث عن مالك وهذان الامامان من جملة الآخذين عنه وعد بعض المترجمين

مشايخه مما يطول ذكره فلذا حذفته

﴿الفصل الثامن في ذكر الآخذين عنه الحديث والفقه﴾ قيل استيعابهم متعذر لا يمكن ضبطه ومن ثمة قال بعض الائمة لم يظهر لاحد من أئمة الاسلام المشهورين مثل ما ظهر لابي حنيفة من الاصحاب والتلاميذ ولم ينتفع العلماء وجميع الناس بمثل ما انتفعوا به وباصحابه في تفسير الاحاديث المشتبهة والمسائل المستنبطة والنوازل والقضاء والاحكام جزاهم الله خيرا وقد ذكر منهم بعض متأخري المحدثين في ترجمته نحو الثمانمائة مع ضبط أسمائهم ونسبهم مما يطول ذكره

﴿الفصل التاسع في مبدأ أمره ونشأته وسبب اشتغاله بالعلم﴾ سبق ان الصحيح انه ولد بالكوفة ونشأ بها وانه لم يجد في حال ترعرعه من يرشده الى الاخذ عمن أدركه من الصحابة فاشتغل بالبيع والشراء الى ان قيض الله له الامام الشعبي فأيقظه الى النظر في العلم ومجالسة العلماء لما رأى فيه من اليقظة والنجابة فوقع في قلبه قوله فترك السوق وأخذ في العلم فنظر في علم الكلام وبلغ فيه مبلغا يشار اليه فيه بالاصابع وأعطى فيه جدلا فمضى عليه زمن به يخاصم وعنه يناضل حتى دخل البصرة لان أكثر الفرق كان بها نيفا وعشرين فرقة يقيم في بعض المرات سنة أو أكثر ينازع أولئك الفرق لانه كان يعد الكلام أرفع العلوم وأفضلها لكونه في أصول الدين ثم ألهم ان الصحابة والتابعين لم يكونوا كذلك مع انهم عليه أقدر وبه أعرف بل نهوا عنه أشد النهي ولم يخوضوا الا في الشرائع وأبواب الفقه وتعليم الناس فكره طرائق الجدل واكذاث عنده وانه كان يجلس بالقرب من حلقة حماد فجاءته امرأة فسألته عن رجل يريد ان يطلق امرأته للسنة كيف يقول فلم يجد جوابا فأمرها ان تسأل حمادا ثم تعلمه بجوابه ففعلت فترك الكلام وجلس في حلقة حماد فكان يحفظ جميع ما يقوله ويخطئ فيه أصحابه فاجلسه بحذائه في صدر الحلقة عشر سنين فنازعته نفسه ان ينفرد عنه ويستقل بحلقة لنفسه

فلس اليه ليلة عزمه على غسل ذلك فى صبيحتها فجاءه حينئذ نعى قريب له لا وارث له غيره فاحتاج للسفر لاخذ ماله فاستخلفه فى حلقته وغاب شهرين ثم قدم وقد سئل عن ستين مسئلة لم يكن سمعها منه فاجاب فيها ثم عرضها عليه فوافقه فى اربعين وخالفه فى عشرين فآلى على نفسه ان لا يفارقه حتى يموت واخرج الخطيب وغيره عنه انه لما اراد الاشتغال بالعلم تصور غايات العلوم وان غاية الكلام قليلة وصاحبه اذا كل واحتيج اليه لا يقدر يتكلم جهارا ويرمى بكل سوء وغاية علم الادب والنحو والقراءة الجلوس الى الاحداث لتعليمهم اياها وغاية الشعر المدح والهجو والكذب والحديث يحتاج الى العمر الطويل ولعل صاحبه يرمى بالكذب وسوء الحفظ فيصير ذلك وصمة فيه الى يوم القيامة قال ثم فكرت فى الفقه فكلما قلبته وادرته لم يزد الا حلاوة ولم اجد فيه عيبا ورأيت امر الا يستقيم طلب الدنيا والآخرة الا بمعرفته فاشتغلت به ﴿تنبيه﴾ احذران تتوهم من ذلك ان ابا حنيفة لم يكن له خبرة تامة بغير الفقه حاشا الله كان فى العلوم الشرعية من التفسير والحديث والآلة من العلوم الادبية والمقاييس الحكمية بحرا لا يجارى واماما لا يمارى وقول بعض اعدائه فيه خلاف ذلك منشؤه الحسد وحبه الترفع على الاقران ورميهم بالزور والبهتان ويأبى الله الا ان يتم نوره ومما يكذب ذلك ان له مسائل فقهية بنى اقواله فيها على علم العربية بما ان وقف عليه من تأمله القضى بتمكنه من هذا العلم بما يبهر العقل وان له من النظم البليغ ما يعجز عنه كثير من نظرائه وقد انفرد بها بالتأليف الزمخشرى وغيره على ما يأتى وسيأتى انه صح عنه انه كان يختم فى شهر رمضان ستين ختمة وانه كان يقرأ القرآن كله فى ركعة فزعم بعض حاسديه انه كان لا يحفظ القرآن بهت منه وكذب شنيع وقال ابو يوسف ما رأيت اعلم بتفسير الحديث من ابى حنيفة وكان ابصر بالحديث الصحيح منى وفى جامع الترمذى عنه ما رأيت اكذب من جابر الجعفى ولا افضل من عطاء بن ابى رباح وروى البيهقى عنه انه سئل

من الاخذ عن سفيان الثورى فقال اكتب عنه فانه ثقة ماعدا أحاديث أبى اسحق عن جابر الجعفى وروى الخطيب عن سفيان بن عيينة أنه قال أول من أقعدنى للحديث بالكوفة أبو حنيفة قال لهم هذا أعلم الناس بحديث عمرو بن دينار وبهذا يعلم بجلاء قمر تبنه فى الحديث أيضا كيف وهو يستأمر فى الثورى ويجلس ابن عيينة

﴿الفصل العاشر فى ابتداء جلوسه للافتاء والتدريس﴾ لما مات شيخه حماد ابن سليمان وكانت انتهت اليه رياسة الكوفة والناس به أغنياء احتاج الناس لمن يجلس لهم مجلس ابنه واختلف اليه أصحاب أبيه فلم يجدوا عنده ما يغنيهم لان الغالب عليه النحو والكلام فجلس موسى بن كثير فاحتقره الناس للفقيه الاكابر وان لم يكن فارقا فى الفقه فخرج حاجا فأجمع رأيهم على أبى حنيفة فأطاعهم وقال ما أحب ان يموت العلم فاختلفوا اليه فوجدوا عنده من العلم العزيز فى كل باب وحسن المواساة والصبر عليهم مالم يجدوه عند غيره فلزموه وتركوا غيره ثم تخرجوا به طبقة بعد طبقة حتى صاروا أئمة فى العلم والدين ومن الطبقة الثانية أبو يوسف وزفر وآخرون ثم لم يزل أمره يزداد علوا ويكثر أصحابه حتى صارت حلقته أعظم حلقة فى المسجد وانصرفت وجوه الناس اليه وأكرمه الامراء وذكره الخلفاء وحمده الكل وعمل أشياء أعجزت غيره ومع ذلك كثرت حساده ومعادوه لان ذلك سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا وبما زاد فى اقباله على الافتاء والتدريس بعد انقباضه عنهما أنه رأى كأنه ينبش قبر النبى صلى الله عليه وسلم ويجمع عظامه فوضعها على صدره بعد ان استخرجها وفى رواية انه لما استخرجها صار يؤلف بعضها على بعض فافزعه ذلك فزعا شديدا وأقلقه الى ان عاده اخوانه فارسل الى ابن سيرين فأولها بان صاحبها يفتح للناس من سنن النبى صلى الله عليه وسلم وتأويلها مالم يسبقه أحد اليه فعند ذلك انبسط فى المسائل وأتى فيها بما يبهر العقل وفى رواية ان بعض أصحابه لما رآه متوجعا ولم يربه مرضا سأله عن حاله فأخبره

برؤياه

رؤياه فقال هنا صاحب لابن سيرين ندعوه لك فقال لا أنا آتيه فأتاه فقصها عليه فقال ان كان ما تقوله حقا لتعلن في اقامة السنة علما لم يسبقك اليه أحد ولتدخلن في العلم مدخلا بعيدا وهذا لا ينافي ما قبله لانه لا مانع انها قصت على ابن سيرين وعلى تلميذه فتوافقا على ما ذكره والله أعلم

﴿الفصل الحادي عشر فيما بني عليه مذهبه﴾ اعلم انه يتعين عليك ان لا تفهم من أقوال العلماء عن أبي حنيفة وأصحابه انهم أصحاب الرأي ان مرادهم بذلك تنقيصهم ولا نسبتهم الى انهم يقدمون رأيهم على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا على قول أصحابه لانهم برآء من ذلك فقد جاء عن أبي حنيفة من طرق كثيرة ما ملخصه انه أولا يأخذ بما في القرآن فان لم يجد فبالسنة فان لم يجد فبقول الصحابة فان اختلفوا أخذ بما كان أقرب الى القرآن أو السنة من أقوالهم ولم يخرج عنهم فان لم يجد لاحد منهم قولا لم يأخذ بقول أحد من التابعين بل يجتهد كما اجتهدوا وقال الفضيل بن عياض ان كان في المسئلة حديث صحيح تبعه وان كان عن الصحابة أو التابعين فكذلك والا قاس فأحسن القياس وقال ابن المبارك رواية عنه اذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين واذا جاء عن الصحابة اخترنا ولم نخرج عن أقوالهم واذا جاء عن التابعين زاحمناهم وعنه أيضا عجبا للناس يقولون أفتى بالرأي ما أفتى الا بالاثر وعنه أيضا ليس لاحد ان يقول برأيه مع كتاب الله تعالى ولا مع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مع ما أجمع عليه أصحابه وأما ما اختلفوا فيه فنتخير من أقاويلهم أقربه الى كتاب الله تعالى أو الى السنة ونجتهد وما جاوز ذلك فالاجتهاد بالرأي لمن عرف الاختلاف وقاس وعلى هذا كانوا وعن المزني سمعت الشافعي يقول الناس عيال على أبي حنيفة في القياس انتهى ولدقة قياسات مذهبهم كان المزني يكثر من النظر في كلامهم حتى حمل ذلك ابن أخته الامام الطحاوي على انه انتقل من مذهب الشافعي الى مذهب أبي حنيفة كما صرح بذلك الطحاوي

لنفسه وعن الحسن بن صالح ان أبا حنيفة كان شديد الفحص عن الناسخ والمنسوخ عارفا بحديث أهل الكوفة شديد الاتباع لما كان الناس عليه حافظا لما وصل الى أهل بلده ومعه رجل يقايس آخر فى مسئلة فصاح دعوا هذه المقايسة فان أول من قاس ابليس فأقبل اليه أبو حنيفة فقال يا هذا وضعت الكلام فى غير موضعه ابليس رد بقياسه على الله تعالى أمره كما أخبر تعالى عنه فى كتابه فكفر بذلك وقياسنا اتباع لامر الله تعالى لانا نرده الى كتابه وسنة رسوله أو أقوال الائمة من الصحابة والتابعين فنحن ندور حول الاتباع فكيف نساوى ابليس لعنه الله فقال له الرجل غلطت وتبت فنور الله قلبك كما نورت قلبي وعنه انه كان يقول هذا الذى نحن عليه رأى لا نجبر عليه أحدا ولا نقول يجب على أحد قبوله فمن كان عنده أحسن منه فليأت به نقبله وقال ابن حزم جميع أصحاب أبى حنيفة مجمعون على ان مذهبه ان ضعيف الحديث أولى عنده من القياس

﴿الفصل الثانى عشر فى الصفات التى تميز بها على من بعده﴾ وهى كثيرة منها انه رأى جماعة من الصحابة كما مر وقد صح من طرق انه صلى الله عليه وسلم قال طوبى لمن رآنى ولمن رأى من رآنى ولمن رأى من رأى من رآنى ومنها انه ولد فى قرنه صلى الله عليه وسلم الذى صح عنه من طرق كثيرة انه قال خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وفى رواية لمسلم خير الناس القرن الذى أنا فيه ثم الثانى ثم الثالث ومنها انه اجتهد وأفتى فى زمن التابعين بل لما حج الاعمش أرسل اليه ليكتب له المناسك وكان يقول اكتبوا المناسك عنه فانى لا أعلم أحدا أعلم بفرضها ونفلها منه فانظر هذه الشهادة له من مثل الاعمش ومنها رواية أكابر شيوخه وغيرهم عنه كعمرو بن دينار ودخل على الخليفة المنصور فقال له عيسى بن موسى يا أمير المؤمنين هذا عالم الدنيا اليوم فقال له الخليفة عمن أخذت العلم قال عن أصحاب عمر عنه وعن أصحاب على عنه وعن أصحاب ابن مسعود عنه فقال بخ بخ لقد استوثقت لنفسك ما شئت

ومنها

ومنها ما اتفق له من الاصحاب مما لم يتفق لاحد بعده كاعلم مما مر وقال رجل عند وكيع أخطأ أبو حنيفة فزجره وكيع وقال من يقول هذا كالانعام بل هم أضل سبيلا كيف يخطئ وعنده أئمة الفقه كابي يوسف ومحمد وأئمة الحديث وعددهم وأئمة اللغة والعربية وعددهم وأئمة الزهد والورع كالفضيل وداود الطائي ومن كان أصحابه هؤلاء لم يكن ليخطئ لانه ان أخطأ ردوه للحق ومنها أنه أول من دون علم الفقه ورتبه أبوابا وكتبا على نحو ما هو عليه اليوم وتبعه مالك في موطئه ومن قبله انما كانوا يعتمدون على حفظهم وهو أول من وضع كتاب الفرائض وكتاب الشروط ومنها انتشار مذهبه في أقاليم ليس فيها غيره كالهند والسند والروم وما وراء النهر ومنها انفاقه على نفسه وغيره من العلماء وغيرهم من كسب يده ولم يقبل جائزة مما تواتر من كثرة عبادته وزهده وكثرة حجه واعتماره وغير ذلك مما يأتي ومنها أنه مات مظلوما محبوسا مسموما كما يأتي

﴿الفصل الثالث عشر في ثناء الائمة عليه﴾ روى الخطيب عن الشافعي رحمه الله قال قيل لمالك رحمه الله هل رأيت أبا حنيفة رحمه الله قال نعم رأيت رجلا لو كلمك في هذه السارية ان يجعلها ذهبا لقام بحجته وفي رواية أنه سأله عن جماعة فاجابه عنهم قال فابو حنيفة قال سبحان الله لم أر مثله تالله لو قال ان الاسطوانة من ذهب لاقام الدليل القياسي على صحة قوله وقال ابن المبارك دخل أبو حنيفة على مالك فرفعه ثم قال بعد خروجه أتدرون من هذا قالوا لا قال هذا أبو حنيفة النعمان لو قال هذه الاسطوانة من ذهب لخرجت كما قال لقد وفق له الفقه حتى ما عليه فيه كثير مؤنة ثم دخل الثوري فأجلسه دون مجلس أبي حنيفة فلما خرج ذكر من فقهه وورعه وقال الشافعي من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة انه ممن وفق له الفقه هذه رواية حرملة عنه وفي رواية الربيع عنه الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة ما رأيت أي علمت أحدا أفقه منه لانه لم يدرك أحدا أفقه منه وجاء عنه أيضا

من لم ينظر فى كتبه لم يتبحر فى العلم ولا يتفقه وقال ابن عيينة ما رأت عيني مثله وعنه من أراد المغازي فالمدينة أو المناسك فمكة أو الفقه فالكوفة ويلزم أصحاب أبي حنيفة وقال ابن المبارك كان أفقه الناس ما رأيت أفقه منه وقال كان آية فقيل فى الخير أو الشر فقال اسكت يا هذا يقال غاية فى الشر وآية فى الخير وعنه ان احتيج للرأى فرأى مالك وسفيان وأبي حنيفة وهو أفقههم وأحسنهم وأدقهم فطنة وأغوصهم على الفقه وعنه قوله عندنا اذا لم نجد أثرا كالاثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنه أنه كان يحدث الناس فقال حدثني النعمان بن ثابت فقيل له من تعني قال أبا حنيفة مخ العلم فامسك بعضهم عن أن يكتب ذلك الاملاء فسكت ابن المبارك هنيهة ثم قال أيها الناس ما أسوأ أدبكم وأجهلكم بالائمة وما أقل معرفتكم بالعلم وأهله ليس أحد أحق أن يقتدى به من أبي حنيفة لانه كان اماما تقيا نقيا ورعا عالما فقيها كشف العلم كشفا لم يكشفه أحد ببصر وفهم وفطنة وتقى ثم حلف أن لا يحدثهم شهرا وقال الثوري لمن قال له جئت من عند أبي حنيفة لقد جئت من أفقه أهل الارض وقال أيضا ان الذي يخالف أبا حنيفة يحتاج الى أن يكون أعلى منه قدرا وأوفر علما وبعيد ما يوجد ذلك ولما حجا كان يقدمه ويمشي خلفه ولا يجيب اذا سئلا حتى يكون أبو حنيفة هو الذي يجيب وقيل له وقد رؤى تحت رأسه كتاب الرهن لابي حنيفة تنظر فى كتبه فقال وددت أنها كلها عندي مجتمعة أنظر فيها ما بقي فى شرح العلم غاية ولكنا لا ننصفه وقال أبو يوسف رحمه الله الثوري أكثر متابعة لابي حنيفة مني ووصفه يوما لابن المبارك فقال انه لم يركب من العلم أحد من سنان الرمح كان والله شديد الاخذ للعلم ذابا عن المحارم متبعا لاهل بلده لا يستحل أن يأخذ الا ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد المعرفة بناسخ الحديث ومنسوخه وكان يطلب أحاديث الثقات والاخذ من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أدرك عليه علماء أهل الكوفة فى اتباع الحق أخذ به وجعله دينه وقد شنع

صالحة قوم فسكتنا عنهم بما نسبتغفر الله تعالى منه وقال الاوزاعى لابن المبارك
من هذا المبتدع الذى خرج بالكوفة يكنى أبا حنيفة فأراه مسائل عويصة
من مسائله فلما رآها منسوبة النعمان بن ثابت قال من هذا قلت شيخ لقيته
بالعراق قال هذا نبيل من المشايخ اذهب فاستكثر منه قلت هذا أبو حنيفة
الذى نهيت عنه ثم لما اجتمع بأبى حنيفة بمكة جاراه فى تلك المسائل فكشفها
أبو حنيفة له بأكثر ما كتبها ابن المبارك عنه فلما افترقا قال الاوزاعى لابن
المبارك غبطت الرجل بكثرة علمه ووفور عقله واستغفر الله تعالى لقد كنت فى
غلط ظاهر الزم الرجل فانه بخلاف ما بلغنى عنه وقال ابن جريج لما بلغه من علمه
وشدة ورعه وصيانته لدينه وعلمه أحسبه سيكون له فى العلم شأن عجيب
وذكر عنده يوما فقال اسكتوا انه لفقيه انه لفقيه انه لفقيه وقال أحمد بن
حنبل فى حقه انه من أهل الورع والزهد وايثار الآخرة بمحل لا يدركه أحد
ولقد ضرب بالسياط ليلى القضاء للمنصور فلم يفعل فرحمة الله عليه ورضوانه
وقال يزيد بن هرون لما سئل عن النظر فى كتبه انظروا فيها فانى ما رأيت أحدا
من الفقهاء يكره النظر فى قوله ولقد احتال الثورى فى كتاب الرهن له حتى
نسخه وقال أيضا لما قيل له رأى مالك أحب اليك من رأى أبى حنيفة اكتب
حديث مالك فانه كان ينتقى الرجال والفقه صناعة أبى حنيفة وصناعة أصحابه
كأنهم خلقوا له وروى الخطيب عن بعض أئمة الزهد أنه قال يجب على أهل
الاسلام أن يدعوا لابى حنيفة فى صلاتهم لحفظه عليهم السنة والفقه وقال
الناس فيه حاسد وجاهل وهو أحسنهما عندى وقال من أراد أن يخرج من
ذل العمى والجهل ويجد حلاوة الفقه فلينظر فى كتبه وقال مكى بن ابراهيم
كان أبو حنيفة أعلم أهل زمانه وقال يحيى بن سعد القطان ما سمعنا أحسن
من رأى أبى حنيفة ومن ثمة كان يذهب فى الفتوى الى قوله وقال النضر
ابن شميل كان الناس نياما عن الفقه حتى أيقظهم أبو حنيفة بما فتقه وبينه
ولخصه وقال مسعر بكسر فسكون ففتح ابن كدام بكسر فتخفيف ٭ له من

جعل أبا حنيفة بينه وبين الله وجوب أن لا يخاف ولا يكون فرطا في الاحتياط
لنفسه وقيل له لم تركت رأى أصحابه وأخذت برأيه قال لعمته فأتوا بأسمع منه
لا رغب عنه اليه وقال ابن المبارك رأيت مسعرا في حلقة أبي حنيفة يسأله
ويستفيد منه وقال ما رأيت أفقه منه وقال عيسى بن يونس لا تصدقن
أحدا يسيء القول فيه فاني والله ما رأيت أفضل منه ولا أفقه منه وقال معمر
ما رأيت رجلا يحسن ان يتكلم في الفقه ويسعه ان يقيس ويشرح الحديث
أحسن معرفة من أبي حنيفة ولا أشفق على نفسه من ان يدخل في دين الله
شيأ من الشك من أبي حنيفة وقال الفضيل كان فقيها معروفا بالفقه
مشهورا بالورع واسع المال معروفا بالافضال على كل من يطوف به صبورا
على تعليم العلم بالليل والنهار قليل الكلام حتى لا يرد مسئلة في الحلال والحرام
الا على الحق هاربا من السلطان وقال أبو يوسف اني لادعو له قبل أبوي
وسمعته يقول اني لادعو لحماد مع أبوي وقال أبو حنيفة زينه الله تعالى بالفقه
والعمل والسخاء والبذل واخلاق القرآن التي كانت فيه وقال كان خلف من
مضى وما خلف والله على وجه الارض مثله وسئل الاعمش عن مسئلة فقال
انما يحسن جواب هذا النعمان بن ثابت وأظنه بورك له في علمه وقال يحيى
ابن آدم ما تقولون في هؤلاء الذين يقعون في أبي حنيفة قال انه جاءهم بما
يعقلونه وما لا يعقلونه من العلم فحسدوه وقال وكيع ما رأيت أحدا أفقه منه
ولا أحسن صلاة منه وقال الامام الحافظ الناقد يحيى بن معين الفقهاء أربعة
أبو حنيفة وسفيان ومالك والاوزاعي وعنه القراءة عندي قراءة حمزة
والفقه فقه أبي حنيفة على هذا أدركت الناس وسئل هل حدث سفيان
عنه قال نعم كان ثقة صدوقا في الفقه والحديث مأمونا على دين الله وقال ابن
المبارك رأيت الحسن بن عمارة آخذا بركابه قائلا والله ما رأيت أحدا يتكلم
في الفقه أبلغ ولا أصبر ولا أحضر جوابا منك وانك لسيد من تكلم في الفقه في
وقتك غير مدافع وما يتكلمون فيك الا حسدا وقال شعبة كان والله حسن الفهم

بئيد الحفظ حتى شنعوا عليه بما هو أعلم به منهم والله سيلقون عند الله وكان كثير الترحم عليه وسئل يحيى بن معين عنه فقال ثقة ما سمعت أحدا ضعفه هذا شعبة يكتب اليه ان يحدث ويأمره وشعبة ووصفه أبو أيوب السختياني بالصلاح والفقه وروى عنه ابن عوف بانه يقول القول ثم يرجع عنه فى غد فقال هذا دليل ورعه فانه يرجع من خطأ الى صوابه ولولا ذلك لنصر خطأه ودافع عنه وقال حماد بن يزيد كنا نأتى عمرو بن دينار فاذا جاء أبو حنيفة أقبل عليه وتركنا نسأل أبا حنيفة فنسأله فيحدثنا ٠ وقال الحافظ عبد العزيز بن أبى رواد من أحب أبا حنيفة فهو سنى ومن أبغضه فهو مبتدع وفى رواية بيننا وبين الناس أبو حنيفة فمن أحبه وتولاه علمنا أنه من أهل السنة ومن أبغضه علمنا أنه من أهل البدعة وقال خارجة بن مصعب أبو حنيفة فى الفقهاء كقطب الرحى وكالجهبذ الذى ينقد الذهب وقال الحافظ محمد بن ميمون لم يكن فى زمن أبى حنيفة أعلم ولا أورع ولا أزهد ولا أعرف ولا أفقه منه تالله ما سرنى بسماعى منه مائة ألف دينار وقال ابراهيم بن معاوية الضرير من تمام السنة حب أبى حنيفة وقال كان يصف العدل ويقول به وبين للناس سبيل العلم وأوضح لهم مشكلاته وقال أسد بن حكيم لا يقع فيه الا جاهل أو مبتدع وقال أبو سليمان كان أبو حنيفة عجبا من العجب وانما رغب عن كلامه من لم يقو عليه وقال أبو عاصم هو والله عندى أفقه من ابن جريج ما رأت عينى رجلا أشد اقتدارا على الفقه منه وذكر عند داود الطائى فقال ذاك نجم يهتدى به السارى وعلم تقبله قلوب المؤمنين وقال شريك القاضى كان أبو حنيفة طويل الصمت كثير التفكر دقيق النظر فى الفقه لطيف الاستخراج فى العلم والعمل والبحث ان كان الطالب فقيرا أغناه واذا تعلم قال له وصلت الى الغنى الاكبر بمعرفة الحلال والحرام وقال خلف بن أيوب صار العلم من الله تعالى الى محمد صلى الله عليه وسلم ثم منه الى أصحابه ثم منهم الى التابعين ثم صار الى أبى حنيفة وأصحابه فمن شاء فليرض ومن شاء

فليضبط وقيل لبعض الائمة مالك تخص أبا حنيفة عند ذكره بمدح دون غيره
قال لان منزلته ليست كمنزلة غيره فيما انتفع الناس بعلمه فاخصه عند ذكره
ليرغب الناس بالدعاء له والآثار في النقل عن الائمة غير ما ذكر كثيرة وفي
بعض ما ذكرناه مقنع للمنصف المذعن الذي يعرف الحق لاهله ومن ثمة قال
الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد البر بعد كلام ذكره وأهل الفقه لا يلتفتون الى
من طعن عليه ولا يصدقون بشيء من السوء ينسب اليه

﴿الفصل الرابع عشر في شدة اجتهاده في العبادة﴾ قال الذهبي قد تواتر قيامه
الليل وتهجده وتعبده ومن ثمة كان يسمى الوتد من كثرة قيامه الليل بل
أحياه بقراءة القرآن في ركعة ثلاثين سنة وحفظ عنه انه صلى صلاة الفجر
بوضوء العشاء أربعين سنة فكان عامة الليل يقرأ جميع القرآن في ركعة
واحدة يسمع بكاؤه بالليل حتى يرحمه جيرانه وحفظ عنه أنه ختم القرآن في
الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف مرة ووقع رجل فيه عند ابن المبارك فقال
ويحك أتقع في رجل صلى خمسا وأربعين سنة خمس صلوات على وضوء واحد
وكان يختم القرآن في ركعة وتعلمت ما عندي من الفقه منه وقال أبو مطيع
ما دخلت الطواف في ساعة من الليل الا رأيت أبا حنيفة وسفيان فيه ولما
غسله الحسن بن عمارة قال رحمك الله وغفر لك لم تفطر منذ ثلاثين سنة وقد
أتعبت من بعدك وفضحت القراء وسبب احيائه الليل أنه سمع رجلا يقول
لآخر هذا أبو حنيفة الذي لا ينام فقال لابي يوسف سبحان الله ألا ترى الله
تعالى نشر لنا هذا الذكر أوليس بقبيح ان يعلم الله تعالى منا ضد ذلك والله
لا يتحدث الناس عني بما لم أفعل فكان يحيي الليل صلاة وتضرعا ودعاء وقال
أبو يوسف كان يختم كل يوم وليلة ختمة وفي رمضان ويوم العيد اثنين وستين
ختمة وكان سخيا بالمال صبورا على تعليم العلم شديد الاحتمال لما يقال فيه
بعيد الغضب شهدته يصلي الصبح بوضوء أول الليل عشرين سنة ومن صحبه
قبلنا قالوا انه كذلك أربعين سنة وقال مسعر رأيته يصلي الغداة ثم يجلس

الناس في العلم الى أن يصلي الظهر ثم يجلس الى العصر ثم الى قريب المغرب ثم الى العشاء فقلت في نفسي متى يتفرغ هذا العبادة لاتعاهدنه فلما هدأ الناس خرج الى المسجد متطهرا كأنه عروس فانتصب للصلاة الى الفجر ثم دخل ولبس ثيابه وخرج لصلاة الصبح ففعل كما فعل قبل فقلت في نفسي ان الرجل قد ينشط الليلة لاتعاهدنه فلما هدأ الناس خرج وفعل كفعله قبل في ليله ويومه حتى اذا صلى العشاء قلت ان الرجل قد ينشط الليلتين لاتعاهدنه الليلة ففعل كفعله قبل فقلت لالزمنه الى أن أموت أو يموت قال فما رأيته بالنهار مفطرا ولا بالليل نائما وكان يغفو قبل الظهر غفوة خفيفة ومات مسعر في سجوده في مسجد أبي حنيفة وقال شريك كنت معه سنة فما رأيته وضع جنبه على الفراش وعن خارجة ختم القرآن في ركعة داخل الكعبة أربعة وعد منهم أبا حنيفة وقال الفضيل بن دكين بضم الدال المهملة رأيت جماعة من التابعين وغيرهم فما رأيت أحسن صلاة من أبي حنيفة ولقد كان قبل الدخول في الصلاة يبكي ويدعو فيقول القائل هو والله يخشى وكنت اذا رأيته رأيته كالشن البالي من العبادة وهو بفتح الشين وتشديد النون القربة الخلقة وردد في قوله تعالى (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) ليلة كاملة في صلاته وقرأ ليلة أخرى حتى وصل (فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم) فما زال يرددها حتى أذن للفجر وقالت أم ولده ما توسد فراشا بليل منذ عرفته وانما كان نومه بين الظهر والعصر بالصيف وأول الليل بمسجده في الشتاء وقال ابن أبي رواد ما رأيت أصبر على الطواف والصلاة والفتيا بمكة منه انما كان كل الليل والنهار في طلب الآخرة والنجاة ولقد شاهدته عشر ليال فما رأيته نام بالليل ولا هدأ ساعة من نهار من طواف وصلاة أو تعليم وذكر بعض أهل المناقب انه لما حج حجة الوداع أعطى السدنة نصف ماله ليمكنوه من الصلاة داخل الكعبة فقرأ نصف القرآن قائما على رجل ثم نصفه الآخر قائما على الأخرى وقال يارب عرفتك حق

معرفتك وما عبدناك حق العبادة فهو بمعنى نقصان الخدمة لكمال المعرفة فنودي من زاوية البيت عرفت فأحسنت وأخلصت الخدمة فغفرنا لك ولمن كان على مذهبك الى قيام الساعة ﴿تنبيه﴾ لا ينافي ما نقل عنه أن صح من قوله عرفناك حق معرفتك ما قاله غيره سبحانك ما عرفناك حق معرفتك لأن مراد الامام عرفناك حق معرفتك اللائقة بي وانتهى اليه علمي فنفيه تجوز ومراد غيره أن حقيقة المعرفة اللائقة بالحق لا يمكن أحدا أن يصل اليها وهذا هو الحقيقة كيف وسيد المرسلين والاولين والآخرين يقول لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وفي حديث الشفاعة العظمى في فصل القضاء انه صلى الله عليه وسلم يلهم عند سؤاله فيها محامد لم يكن ألهمها قبل فهذه معارف متجددة وهكذا الى ما لا نهاية له ووقوفه على رجل في الصلاة مكروه عند غيره لصحة الحديث في النهي عنه فنفرض انه يرى كراهته ويجاب عنه بانه انما فعل ذلك مجاهدة لنفسه وليس ببعيد ان غرض مجاهدة النفس في مثل ذلك عن لم يحتمل ان تشوهه ما تم الكراهة وختمه القرآن في ركعة لا ينافي خبر أن من قرأه في أقل من ثلاث لم يتفقه لان محله فيمن لم تنخرق له العادة في الحفظ والسهولة واتساع الزمن ومن ثم جاء عن كثير من الصحابة والتابعين انهم كانوا يختمونه في ركعة بل ختمه بعضهم أربع مرات فيما بين المغرب والعشاء وكل ذلك من باب الكرامات فلا يعترض به

﴿الفصل الخامس عشر في خوفه ومراقبته لربه سبحانه وتعالى﴾ قال أسد بن عمرو كان بكاء أبي حنيفة يسمع بالليل حتى يرحمه جيرانه وقال وكيع كان والله عظيم الامانة وكان الله تعالى في قلبه جليلا كبيرا وكان يؤثر رضا ربه تبارك وتعالى على كل شيء ولو أخذته السيوف في الله تعالى لاحتمل رحمه الله ورضي عنه رضا الابرار فلقد كان منهم وقال يحيى بن القطان كنت اذا نظرت اليه عرفت انه يتقي الله عز وجل وقام ليلة بهذه الآية يرددها ويبكي ويتضرع (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) وبلغ في ليلة (ألهيكم

التكاثر) فرددها حتى أصبح وقال يزيد بن الليث وكان من الاخيار قرأ الامام (اذا زلزلت الارض) وأبو حنيفة خلفه فلما فرغ نظرت اليه فاذا هو جالس يتفكر و يتنفس فقمت لئلا يشتغل قلبه وتركت القنديل وزيته قليل ثم جئت وقد طلع الفجر وهو قائم وقد أخذ بلحية نفسه وهو يقول يامن يجزى بمثقال الذرة خيرا خيرا ويامن يجزى بمثقال ذرة شر اشرا أجر النعمان عبدك من النار وما يقرب منها وأدخله فى سعة رحمتك قال فاذنت فاذا القنديل يزهر وهو قائم فلما دخلت قال لى تريد أن تأخذ القنديل قلت قد أذنت لصلاة الغداة قال اكتم مارأيت وركع ركعتى الفجر وجلس حتى أقيمت الصلاة وصلى معنا الغداة على وضوء أول الليل وقال أبو الاحوص لو قيل له انك تموت الى ثلاثة أيام ماكان فيه فضل شئ يقدر أن يزيد على عمله الذى كان يعمل وذكر عند عيسى بن يونس قال فدعاله وقال كان أشد اجتهاده فى أن لا يعصى الله تعالى وأن يعظم حرماته وقال لولا الحرج ما أفتيت أخوف ما أخاف ان يدخلنى النار ما أنا عليه من الفتوى وقال ما اجترأت على الله تعالى منذ فقهت وسمع غلامه يسأل الجنة فبكى حتى اختلج صدغاه ومنكباه وأمر بغلق الدكان وقام مغطى الرأس مسرعا ثم قال ما أجرأنا على الله يقول أحدنا سأل الله الجنة وانما يسأل ذلك من رضى نفسه انا يريد مثلنا ان يسأل الله العفو وقرأ الامام يوما فى صلاة الصبح (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) فارتعد حتى عرف ذلك منه وكان اذا أشكلت عليه مسئلة قال لاصحابه ما هذا الا لذنب أحدثته فيستغفر الله وربما قام فتوضأ وصلى ركعتين و يستغفر فتفرج له المسئلة فيقول استبشرت لانى رجوت انه تيب على حتى أدركت المسئلة فبلغ ذلك الفضيل فبكى بكاء شديدا ثم قال رحم الله أبا حنيفة انما كان ذلك لقلة ذنوبه وأما غيره فلا يتنبه لذلك لان ذنوبه قد استغرقته ووطئ رجل صبى لم يره فقال ياشيخ أما تخاف القصاص يوم القيامة فغشى عليه فلما أفاق قيل له ما أشد ما أخذ بقلبك قول هذا الغلام فقال أخاف انه لقن وروى هو وابن

المغمر يتساران ويبكيان في المسجد فلما خرج قيل له ما بالكما أكثرتما البكاء قال ذكرنا الزمان وغلبة أهل الباطل على أهل الخير فكثر لذلك بكاؤنا وكان عند صلاته بالليل يسمع وقع دموعه على الحصير كأنه المطر وكان أثر البكاء يرى في عينيه وخديه فرحمه الله ورضي عنه

﴿الفصل السادس عشر في حفظ لسانه عما لا يعنيه ومن السوء ما أمكنه﴾

قال له بعض مناظريه يا مبتدع يا زنديق فقال غفر الله لك الله يعلم مني خلاف ما قلت وأني ما عدلت به أحدا منذ عرفته ولا أرجو الا عفوه ولا أخاف الا عقابه ثم بكى عند ذكر العقاب وسقط سريعا ثم أفاق فقال له الرجل اجعلني في حل فقال كل من قال في شيأ من أهل الجهل فهو في حل وكل من قال في شيأ مما ليس في من أهل العلم فهو في حرج فان غيبة العلماء تبقى شيأ بعدهم وقال الفضيل بن دكين كان هبو بالا يتكلم الا جوابا ولا يخوض فيما لا يعنيه ولا يستمع اليه وقيل له اتق الله فانتفض وطأطأ رأسه ثم قال يا أخي جزاك الله خيرا ما أحوج الناس كل وقت الى من يذكرهم الله تعالى وقت اعجابهم بما يظهر على ألسنتهم من العلم حتى يريدوا الله تعالى بأعمالهم وأنا أعلم أن الله عز وجل يسألني عن الجواب ولقد حرصت على طلب السلامة وكان اذا دخل عليه داخل وقال كان كيت وكيت وأكثر قال له دع ما أنت فيه ما تقول في كذا وكذا فيقطع عليه كلامه ويقول اياكم ونقل ما لا يحبه الناس من حديث الناس عفا الله عمن قال فينا مكروها ورحم الله من قال فينا جميلا تفقهوا في دين الله وذروا الناس من حديث الناس وما قد اختاروا لانفسهم فيحوجهم الله تعالى اليكم وقيل له أيهما أفضل علقمة أو الاسود قال والله ما قدري أن أذكرهما الا بالدعاء والاستغفار اجلالا لهما فكيف أفضل بينهما وقال ابن المبارك للثوري ما أبعد أبا حنيفة من الغيبة ما سمعته يغتاب عدوا له قط قال والله هو أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهب بها وقال شريك كان طويل الصمت كثير العقل والفقه قليل المجادلة للناس

قليل الحادثة لهم وقال ضميرة لم يختلف الناس ان أبا حنيفة كان مستقيم اللسان لم يذكر أحدا بسوء وقيل له الناس يتكلمون فيك ولا تتكلم فى أحد قال هو فضل الله يؤتيه من يشاء وقال بكير بن معروف ما رأيت رجلا أحسن سيرة فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم من أبى حنيفة

﴿الفصل السابع عشر فى كرمه﴾ قال غير واحد انه كان أكرم الناس مجالسة وأكثرهم اكراما ومواساة لاصحابه ولمن جلس اليه ومن ثمة كان يزوج من احتاج وينفق عليه ويرسل الى كل منهم قدر منزله ورأى على بعض جلسائه ثيابا رثة فأمره أن يجلس حتى يتفرق الناس ثم قال له خذ ما تحت المصلى فتجمل به فاذا هو ألف درهم وقال أبو يوسف كان لا يكاد يسئل حاجة الا قضاها ولما ختم حماد ولده سورة الفاتحة أعطى المعلم خمسمائة درهم وفى رواية ألف درهم فقال ما صنعت حتى أرسل الى هذا فأحضره واعتذر اليه وقال لا تستحقر ما علمت ولدى والله لو كان معنا أكثر من ذلك لدفعناه اليك تعظيما للقرآن وكان يجمع ربح تجارته التى يرسلها الى بغداد من السنة الى السنة فيشترى به للشيوخ المحدثين حوائجهم من نحو قوت وكسوة ثم يدفع الباقى اليهم فيقول أنفقوا فى حوائجكم ولا تحمدوا الا الله تعالى فانى ما أعطيتكم من مالى شيأ ولكن من فضل الله يجريه على يدى وقال وكيع قال لى أبو حنيفة ما ملكت أكثر من أربعة آلاف درهم منذ أربعين سنة الا أخرجته أى الاكثر وانما أمسك الاربعة لقول على كرم الله وجهه أربعة آلاف ودونه نفقة ولولا أن أخاف أن أحتاج الى هؤلاء ما أمسكت منها درهما واحدا وقال سفيان بن عيينة كان أبو حنيفة كثير الصدقة وكان كل ما يستفيده لا يدع منه شيأ الا أخرجه ولقد وجه الى هدايا استوحشت من كثرتها فشكوت ذلك لبعض أصحابه فقال لو رأيت هدايا بعث بها الى سعيد بن أبى عروبة وما كان يدع أحدا من المحدثين الا بره برا واسعا وقال مسعر كان لا يشترى لنفسه وعياله كسوة أو فاكهة أو غيرهما

الا اشترى قبل ذلك لشيوخ العلماء مثل ذلك وقال أبو يوسف كان يشكر لمن يشكره على شئ أعطاه اياه ويقول اشكر الله تعالى فانما هو رزق ساقه الله اليك وكان يعولنى وعيالى عشرين سنة واذا قلت له ما رأيت أجود منك يقول كيف لو رأيت حمادا وما رأيت أجمع للخصال المحمودة منه وكانوا يقولون أبو حنيفة زينه الله بالعلم والعمل والسخاء والبذل وأخلاق القرآن التى كانت فيه وقال شقيق كنت معه فى طريق فرآه رجل فاختبأ منه وأخذ فى طريق آخر فصاح به فجاء اليه فقال له لم عدلت عن طريقك قال لك على عشرة آلاف درهم وقد طال على الوقت وأعسرت فاستحييت منك فقال سبحان الله بلغ بك الامر كل هذا وهبته منك كله وأشهدت على نفسى فلا تتوار واجعلنى فى حل مما دخل فى قلبك منى قال شقيق فعلمت انه زاهد على الحقيقة وقال الفضيل كان أبو حنيفة معروفا بكثرة الافضال وقلة الكلام واكرام العلم وأهله وقال شريك كان يغنى من يعلمه وينفق عليه وعلى عياله فاذا تعلم قال له لقد وصلت الى الغنى الاكبر بمعرفة الحلال والحرام وحبس ابراهيم بن عيينة على أكثر من أربعة آلاف درهم فأراد بعض اخوانه أن يجمع له من الناس فلما صار لابى حنيفة أمره برد ما أخذه من الناس وقضى عنه جميع دينه وأهدى اليه شخص شيأ فكافأه باضعافه فقال له لو علمت انك تفعل ذلك ما أهديت لك قال لا تقل هذا فان الفضل للسابق ثم تسمع الى ما حدثنى به الهيثم عن أبى صالح يبلغ به النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من صنع اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا ما تكافئونه به فأثنوا عليه فقال له هذا الحديث أحب الى من جميع ما أملك

﴿الفصل الثامن عشر فى زهده وورعه﴾ قال ابن المبارك قدمت الكوفة فسألت عن أزهد أهلها فقالوا أبو حنيفة وأراد شراء جارية فمكث عشر سنين وفى رواية عشرين سنة يختار ويشاور من أى سبى سالم عن الشبهة يشترى ما رأيت أحدا أورع منه ما تقدرون أن تقولوا فى رجل عرضت

عليه

اصابته الاموال العظيمة فنبذها وضرب بالسياط فصبر على السراء والضراء ولم يدخل فيما كان غيره يطلبه ويتمناه وقال مكي بن ابراهيم جالست الكوفيين فلم أر فيهم أورع منه وقال الحسن بن صالح كان شديد الورع هائبا الحرام تاركا للكثير من الحلال مخافة الشبهة ما رأيت فقيها أشد منه صيانة لنفسه ولعلمه وكان جهاده كله الى قبره وقال النضر بن محمد ما رأيت أشد ورعا منه وقال يزيد بن هرون كتبت عن ألف شيخ حملت عنهم العلم فما رأيت فيهم أشد ورعا ولا أحفظ لسانا منه وقال الحسن بن زياد والله ما قبل لاحد منهم أي الامراء ونحوهم جائزة ولا هدية وأرسل لشريكه متاعا فيه ثوب معيب بيعه ويبين ما فيه من العيب فباعه ولم يبين نسيانا وجهل المشتري فلما علم أبو حنيفة تصدق بثمن المتاع كله وكان ثلاثين ألف درهم وفاصل شريكه وذكر وكيع انه كان جعل على نفسه ان حلف بالله صادقا في عرض كلام تصدق بدرهم فحلف فتصدق به ثم جعل على نفسه ان حلف تصدق بدينار فكان اذا حلف تصدق بدينار وقال حفص صحبته ثلاثين سنة فلم أره أعلن خلاف ما أسر وكان اذا دخلت عليه شبهة في شئ أخرج من قلبه ذلك ولو بجميع ماله وقال سهل بن مزاحم كنا ندخل عليه فلا نرى في بيته الا البوارى وقيل له تعرض عليك الدنيا ولك عيال فقال الله تعالى للعيال وانما قوتي أنا في الشهر درهمان فما جمعي لمن يسألني الله تعالى عن الجمع لهم ان أطاعوه وان عصوه فان رزق الله غاد ورائح على الفريقين ثم قرأ وفي السماء رزقكم وما توعدون وحج بعض أصحابه وخلف عنده جاريته فغاب أربعة أشهر فلما قدم قال له كيف وجدتها قال من قرأ القرآن وحفظ على الناس دينهم يحتاج أن يصون نفسه عن الفتنة والله ما رأيتها منذ خرجت الى أن رجعت وسألها عن اخلاقه فقالت ما رأيت ولا سمعت مثله ما رأيته اغتسل في ليل ولا نهار من جنابة وما رأيته أفطر بالنهار قط وكان يأكل آخر الليل ثم يرقد رقدة خفيفة ثم يخرج للصلاة وجاءته امرأة بثوب خز تبيعه لها عيانة فقال

هو خير من مائة بكم تقولين فزادت مائة مائة حتى قالت أربعمائة قال هو خير من ذلك قالت تهزأ بي قال هاتي رجلا فجاءت برجل فاشتراه بخمسمائة درهم وقال لولا الخوف من الله تعالى أن يضيع العلم ما أفتيت أحدا يكون لهم المهنأ وعلي الوزر ولما حبس ببغداد في محنته الآتية أرسل لولده حماد يقول يا بني ان قوتي في الشهر درهمان فرة للسويق ومرة للخبز وقد حبست فعجله لي واختلطت غنم الكوفة بغنم منهوبة فسأل كم تعيش الغنم قالوا سبع سنين فترك أكل لحم الغنم سبع سنين ورأى تلك الايام بعض الجند أكل لحما ورمى فضلته في نهر الكوفة فسأل عن عمر السمك فقيل له كذا وكذا فامتنع من أكل السمك تلك المدة وقال بعض أئمة أصحابنا الشافعية الاستاذ أبو القاسم القشيري في باب التقوى في رسالته التي هي أعظم كتب السادة الصوفية قدس الله أرواحهم كان أبو حنيفة لا يجلس في ظل شجرة غريمه ويقول كل قرض جر منفعة فهو ربا ويوافقه قول يزيد بن هرون ما رأيت أورع منه رأيته جالسا يوما في الشمس عند باب انسان فقلت له يا أبا حنيفة لو تحولت الى الظل فقال لي على صاحب هذه الدار دراهم ولا أحب ان أجلس في ظل فناء داره قال يزيد فأي ورع أكثر من هذا وفي رواية أنه سئل لما امتنع من الظل فقال لي على صاحب هذه الدار شئ فكرهت ان استظل بظل حائطه فيكون ذلك جر منفعة وما أرى ذلك على الناس واجبا ولكن العالم يحتاج أن يأخذ لنفسه من عمله باكثر مما يدعو الخلق اليه والآثار في ورعه كثيرة

﴿الفصل التاسع عشر في أمانته﴾ قال رجل بالشام للحكم بن هشام الثقفي أخبرني عن أبي حنيفة قال كان أعظم الناس امانة وأراده السلطان أن يتولى مفاتيح خزائنه أو يضرب ظهره فاختار عذابه على عذاب الله تعالى فقال ما رأيت أحدا يصفه بمثل ما وصفته به قال هو والله كما قلت وقال وكيع كان أبو حنيفة عظيم الامانة وقال أبو نعيم والفضيل بن دكين كان أبو حنيفة حسن الديانة عظيم الامانة

﴿الفصل العشرون في وفور عقله﴾ روى الخطيب عن ابن المبارك ما رأيت رجلا أعقل منه وعن هرون الرشيد انه ذكر عنده يوما فترحم عليه وقال كان ينظر بعين عقله ما لا يراه غيره بعين رأسه وعن علي بن عاصم قال لو وزن عقل أبي حنيفة بعقل نصف أهل الارض لرجح بهم وعن محمد بن عبد الله الانصاري كان يتبين عقله في منطقه وفعله ومشيه ومدخله ومخرجه وعن خارجة لقيت ألفا من العلماء فوجدت العاقل منهم ثلاثة أو أربعة فذكره في الثلاثة أو الاربعة وعن يزيد بن هرون أدركت الناس فما رأيت أحدا أعقل ولا أفضل ولا أورع من أبي حنيفة وقال أبو يوسف ما رأيت أحدا أكمل عقلا ولا أتم مروءة من أبي حنيفة وقال يحيي بن معين كان أبو حنيفة أعقل من أن يكذب ما سمعت أحدا يصفه ويذكره بمثل ما كان ابن المبارك يصفه ويذكره به من الخير وذكر حماد ابنه عنه انه احتبى بثوبه في المسجد فسقط في حجره من السقف حية عظيمة فلا والله ما تحلل ولا تحول من مكانه ولا تغير ثم قال لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا وأخذها بيده اليسرى فرماها بها عنه وقال الشافعي رحمه الله ما قامت النساء عن رجل أعقل من أبي حنيفة وقال بكر بن حبيش لو جمع عقله وعقل أهل زمنه لرجح عقله على عقولهم

﴿الفصل الحادي والعشرون في فراسته﴾ منها أنه قال لجماعة من أصحابه أمورا ستقع لهم فكان كما قال منهم زفر ومنهم داود الطائي قال له أنت تتخلى للعبادة ومنهم أبو يوسف قال له أنت تميل الى الدنيا فكان كما قال وقال اذا رأيت الرجل طويل الرأس فاعلم أنه أحمق وقيل له كيف رأيت علماء المدينة قال ان أفلح منهم أحد فالاشقر الازرق يعني مالك بن أنس ولقد بر وصدق في فراسته لان مالكا بلغ من العلم والفلاح ما لم يلحقه أحد من أهل المدينة في عصره وقال اذا رأيت أحدا جيد الحفظ فاستمسك بجمعه واذا رأيت انسانا طويل اللحية فاستمسك بحمقه واذا رأيت طويلا عاقلا فاستمسك به فانه قلما تجد طويلا عاقلا ولما حمل سفيان الثوري ومسعر وأبو حنيفة وشريك الى المنصور

قال لهم أبو حنيفة أخبرني فيكم تظنينا أنا أما أنا فأحتال لنفسي وأما سفيان فيهرب من الطريق وأما مسعر فيجنن نفسه وأما شريك فيقع فلما ساروا في الطريق قال سفيان أريد أن أتبرز فخرج معه الجندي فصار إلى حائط فجلس خلفه فرأى سفينة شوك فقال لهم إن هذا الذي خلف الحائط يريد أن يذبحني فقالوا ادخل السفينة فدخل وغطوه بالشوك فرجع الجندي فلم يره فلما أبطأ ناداه يا أبا عبد الله فلم يجبه فجاء فلم يره فرجع إلى صاحبه فضربه وشتمه فلما دخل الثلاثة على المنصور بادر إليه مسعر فصافحه وقال كيف حالك يا أمير المؤمنين وكيف جواريك وكيف دوابك فوليني يا أمير المؤمنين القضاء فقال رجل على رأسه هذا مجنون قال صدقت اخرجوه فخلي سبيله فدعا أبا حنيفة فجاء فقال يا أمير المؤمنين أنا النعمان بن ثابت بن مملوك الخزاز وأهل الكوفة لا يرضون أن يلي عليهم ابن مملوك خزاز قال صدقت فذهب شريك يتكلم فقال اسكت فما بقي أحد غيرك خذ عهدك فقال يا أمير المؤمنين إن في نسيانا فقال عليك بمضغ اللبان قال وبي خفة قال نصنع لك الفالوذج تأكله قبل أن تجلس في مجلس الحكم قال إني أحكم على الصادر والوارد قال احكم ولو على ولدي قال افعل فكان كما ذكر أبو حنيفة ومر عليه بالمسجد رجل فتفرس فيه أنه غريب في كمه حلاوة ومعلم صبيان فكان كذلك فسئل فقال رأيته ينظر يمينا وشمالا وكذلك الغريب ورأيت الذباب على كمه ورأيته ينظر للصبيان

﴿الفصل الثاني والعشرون والثالث والعشرون في عظيم ذكائه وأجوبته المسكتة عن الأسئلة المبهتة﴾

من ذلك أن رجلا ممن يكرهه سأله ما تقول في رجل لا يرجو الجنة ولا يخاف من النار ولا يخاف الله تعالى ويأكل الميتة ويصلي بلا ركوع ولا سجود ويشهد بما لا يرى ويبغض الحق ويحب الفتنة ويفر من الرحمة ويصدق اليهود والنصارى فقال ألك بهذا علم قال لا ولكن لم أجد شيئا هو أشنع من هذا فسألتك عنه فقال أبو حنيفة لأصحابه ما تقولون في هذا الرجل قالوا شر هذا الرجل هذه صفة كافر فتبسم وقال هو من أولياء

الله تعالى حقا ثم قال للرجل ان أنا أخبرتك انه كذلك تكف عني لسانك ومن المقلة ما يضرك قال نعم قال هو يرجو رب الجنة ويخاف رب النار ولا يخاف الله تعالى ان يجور عليه في عدله وسلطانه ويأكل ميتة السمك ويصلي على الجنازة أو على النبي عليه السلام ومعنى شهادته بما لا يرى أنه يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ويبغض الحق الذي هو الموت ليطيع الله تعالى والفتنة المال والولد والرحمة المطر ويصدق اليهود في قولهم ليست النصارى على شئ والنصارى في قولهم ليست اليهود على شئ فقام الرجل وقبل رأسه وقال أشهد أنك على الحق ولما مرض أبو يوسف قال أبو حنيفة لئن مات هذا الغلام لم يخلفه أحد على وجه الارض فلما عوفي أعجب لنفسه وعقد له مجلسا في الفقه فانصرفت وجوه الناس اليه فلما بلغ أبا حنيفة ذلك قال لبعض من عنده اذهب الى مجلس يعقوب وقل له ما تقول في قصار دفع اليه رجل ثوبا ليقصره بدرهمين ثم طلب ثوبه فأنكره القصار ثم عاد له وطلبه فدفعه له مقصورا أله أجرة فان قال نعم قل له أخطأت أو لا قل له أخطأت فصار اليه الرجل فسأله فقال نعم له أجرة فقال له أخطأت فنظر ساعة فقال لا فقال أخطأت فقام من ساعته لابي حنيفة فلما رآه قال ما جاء بك الا مسئلة القصار قال أجل قال سبحان الله من قعد يفتي الناس وعقد لنفسه مجلسا يتكلم في دين الله تعالى وهذا قدره لا يحسن أن يجيب في مسئلة من الاجارات فقال علمني قال ان كان قصره بعد ما غصبه فلا أجرة له لانه انما قصره لنفسه أو قبل غصبه فله الاجرة لانه قصره لصاحبه وحضر مع العلماء وليمة رجل زوج ابنتيه من أخوين فخرج الولي وهو يقول أصبنا مصيبة عظيمة غلطنا فزففت الى كل واحد غير امرأته وأصابها قال سفيان لا بأس بذلك كما حكم به علي كرم الله وجهه في ذلك بعينه كان معاوية توجه اليه فيها فقال أرى أن على كل المهر بما أصاب من المرأة وترجع كل الى زوجها فاستحسن الناس منه ذلك وأبو حنيفة ساكت فقال له مسعر قل فيها قال

سفيان وما عسى أن يقول فيها خلاف هذا فقال أبو حنيفة على بالغلامين فاحضرا فقال لكل واحد منهما أتحب أن تكون عندك التى زفت اليك فقال نعم قال لكل واحد منهما فارق التى عند أخيك فقال هى فلانة قال قل هى طالق منى ثم زوج كلا التى مسها وامرهم بتجديد عرس آخر فعجب الناس من قضائه بذلك حتى قام مسعر فقبله وقال تلوموني على حبه وسفيان ساكت لا يقول شيأ ﴿تنبيه﴾ ما حكم به سفيان عن على كرم الله وجهه لا ينافى ما حكم به أبو حنيفة بل كلا الحكمين حق فاما وجه ما حكم به سفيان فهو ان هذا الوطء وطء بشبهة وهو يجب فيه المهر ولا يرفع النكاح وأما وجه ما حكم به أبو حنيفة فهو ان الحكم وان كان كما قاله سفيان لكن ربما ترتبت عليه مفسدة أى مفسدة لان كلا لو رجعت اليه زوجها وقد وطئها الآخر واطلع على محاسنها الباطنة تخشى أن يكون نفسه متعلقة بها وانه لا يسلو عنها بل يزداد تعلقه بها اذا أخذت منه وصارت تحت غيره فاقتضت الحكمة الظاهرة التى ألهمها الله لابى حنيفة وأطلعه على ما يخشى وقوعه من الفساد لو بقيتا على فتوى سفيان ان يحكم بطلاق كل زوجته التى وطئها غيره وان يتزوج كل من وطئها ولا يحتاج لعدة لان لصاحب عدة وطء الشبهة ان يعقد بالموطوأة فيها ولاجل هذه المصلحة الظاهرة التى لا ينكرها أحد سكت سفيان على فتوى أبى حنيفة واستحسنها الناس منه حتى قبله مسعر لاجلها وكان فى جنازة ابن هاشمى سيد فيها وجوه أهل الكوفة وعلماؤهم فبرزت أمه كاشفة رأسها ووجهها وألقت عليه ثوبها من شدة وجدها فحلف زوجها بالطلاق لترجعين وحلفت بعتق ما لكها ان لا ترجع حتى يصلى عليه فوقف الناس ولم يتكلم فيها أحد فسأل والده أبا حنيفة فاستعاد منه ومنها حلفهما ثم أمره بالصلاة عليه ثم أمرها بالرجوع فقال له ابن شبرمة عجزت النساء أن يلدن مثلك ما عليك فى العلم كلفة وسأله رجل عن فتح خوخة فى حائطه فقال افتح ما شئت ولا تطلع على جارك وشكاه الى ابن أبى

ليلى فنعه فعاد الى أبي حنيفة فقال له افتح فيه بابا فنعه ابن أبي ليلى أيضا فعاد الى أبي حنيفة فقال كم قيمة حائطك قال ثلاثة دنانير قال اهدمه وأنا على الثلاثة فجاء ليهدمه فرفعه جاره الى ابن أبي ليلى فقال يريد هدم حائطه وتسألني ان أمنعه اذهب فاهدمه وابنه ما شئت في جدارك فقال له الجار كان فتح الخوخة أهون علي قال اذا كان يذهب الى من يدله على خطئي فكيف أمنع اذا تبين الخطأ وسأله ابن المبارك عن درهمين لرجل اختلطا بدرهم لآخر ثم ضاع منها اثنان لا يعلم من أيهما فقال الدرهم الباقي لهما أثلاثا قال ابن المبارك فلقيت ابن شبرمة فسألته فقال سألت عنها أحدا قلت أبا حنيفة قال فقال لك الدرهم الباقي لهما أثلاثا قلت نعم قال أخطأ العبد ولكن درهم من الدرهمين انضا أعين يحيط العلم أنه من الدرهمين والدرهم الآخر منهما جميعا فالباقي بينهما فاستحسنت قال فلقيت أبا حنيفة ولو وزن عقله بعقل نصف أهل الارض لرجحهم فقال لي لقيت ابن شبرمة فقال لك قد أحاط العلم ان أحد الدرهمين ضائع وبقي الدرهم الباقي فهو بينهما قلت نعم قال ان الثلاثة حيث اختلطت وجبت الشركة بينهما فصار لصاحب الدرهم ثلث كل درهم ولصاحب الدرهمين ثلثا كل درهم فأي درهم ذهب ذهب بحصتهما ﴿تنبيه﴾ ما قاله أبو حنيفة ظاهر عند من يسلم له ان الاختلاط مع عدم التمييز يقتضي الشركة على الشيوع وما قاله ابن شبرمة له وجه عند من لا يرى الشركة ووجهه ان أحد الدرهمين الضائعين يختص بصاحب الدرهمين يقينا وبقي لكل درهم يحتمل انه الموجود ولا مرجح لاحدهما فقسم الدرهم الباقي بينهما وكان بجواره فتى فأتى مجلسه فشاوره في التزوج من قوم مخصوصين طلبوا منه فوق وسعه فأمره بالتزوج بعد الاستخارة ففعل ثم أبوا أن يحملوها اليه الا بعد وفاء كل المهر فذهب اليه واعلمه بذلك فقال احتل واقترض حتى تدخل بأهلك وأقرضه في جملة من أقرضه فلما دخل بها قال له ما عليك ان تظهر الخروج بها الى موضع بعيد ففعل فاشتد على أهلها فجاؤا أبا حنيفة

يشكونه ويستفتونه فافتاهم بان له أن يخرجها الى حيث يشاء قالوا ما يمكننا أن
ندعها تخرج معه قال فارضوه برد ما أخذتموه منه فرضوا منه فقال له انهم رضوا
بان يعطوك ما أخذوه من المهر ويبرئوك من الباقي قال أريد فوق ذلك فقال له
أيما أحب اليك هذا او الا أقررت لرجل بدين فلا يمكن لك السفر حتى توفيه فقال
الله الله لا يسمعوا بهذا فلا يعطوني شيأ وجاءته امرأة فقالت مات أخي وخلف
ستمائة دينار فما اعطوني الا دينار واحد قال من قسم فريضتكم قالت داود الطائي
قال ليس لك الا هو أليس أخوك خلف بنتين وأما وزوجة واثنى عشر أخا
وأختا قالت نعم قال هو كذلك وحضر يوما مجلس ابن أبي ليلى فاذن للنصح له
في الدخول ليريه امضاءه في القضاء والحكم فادعى رجل على آخر أنه قال له يا ابن
الزانية فقال القاضي للمدعى عليه ما تقول فقال له أبو حنيفة كيف تسأله
الجواب وليس هو الخصم وانما الخصم أمه فهل ثبتت وكالته عنها قال لا قال
فاسأله أحية أمه أم ميتة فسأله فقال ميتة قال البينة فاقامها وتها فسأل
القاضي المدعى عليه فقال له سل المدعي هل لامه وارث غيره فسأله قال لا قال
البينة بذلك فاقامها فسأل القاضي المدعى عليه فقال سل المدعي أمه حرة أم
أمة فقال حرة قال البينة بذلك فاقامها فسأل القاضي المدعى عليه فقال سل
المدعي هل هي مسلمة أم ذمية قال مسلمة قال البينة بذلك فاقامها فقال أبو
حنيفة شأنك الآن ولما نزل قتادة الكوفة قال لا يسألني أحد عن مسئلة عن
الحلال والحرام الا أجبته فقال له أبو حنيفة ما تقول فيمن غاب عن أهله
أعواما ونعي اليها فظنت موته فتزوجت فقدم بعد ولادتها فنفاه الاول وادعاه
الثاني اكل منهما قذفها أم المنكر للولد ثم قال أبو حنيفة ان قال فيها برأيه ليخطئن
وان قال فيها حديثا ليكذبن فقال قتادة أوقعت هذه المسئلة قالوا لا قال فلم
تسألون عما لم يكن فقال أبو حنيفة ان العلماء يستعدون للبلاء ويتحرزون منه
قبل نزوله ليعرفوا الدخول فيه والخروج منه فقال قتادة دعوا هذا واسألوني
عن التفسير قال أبو حنيفة من الذي عنده علم الكتاب قال آصف ابن برخيا

حكاية

كاتب سليمان وكان يعرف الاسم الاعظم قال فهل كان سليمان يعرفه أيضا قال لا قال أيجوز أن يكون فى زمن نبى من هو أعلم منه قال لا والله لاحدثتكم بشئ من التفسير سلونى عما اختلف فيه العلماء فقال أبو حنيفة أمؤمن أنت قال أرجو قال ولم قال لقوله تعالى والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين فقال له هلا قلت كما قال ابراهيم لما قال له أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى فقام قتادة مغضبا وحلف أن لا يحدثهم وقال رجل لامرأة مخلة شيأ فقالت له يا ابن الزانيين فشكيت الى ابن أبى ليلى فحدها حدين فى المسجد قائمة فقال أبو حنيفة أخطأ من ستة أوجه أقام الحد على مجنونة وفى المسجد وضرب المرأة قائمة وهى انما تضرب جالسة وأقام عليها حدين والقذف بكلمة واحدة ولو قذف قوما بكلمة لم يلزمه الا حد واحد وضربها والحق للابوين وهما غائبان وحد الثانى قبل البرء من الحد الاول فشكاه للامير فمنعه الافتاء ثم وردت مسائل لعيسى بن موسى فسئل عنها فاجاب بما استحسنه عيسى فاذن له فجلس فى مجلسه وقال له الضحاك نسمى تجويزك الحكمين قال تناظرنى قال نعم قال فان اختلفنا فى شئ فمن يكون بينى وبينك قال اجعل أنت من شئت فقال لبعض أصحاب الضحاك احكم بيننا ثم قال للضحاك أترضى هذا حكما بينى وبينك قال نعم قال أبو حنيفة فانت قد جوزت الحكمين فانقطع الضحاك وسأله عطاء عن قوله تعالى وآتيناه أهله ومثلهم معهم فقال رد الله تعالى على أيوب أهله ومثل أهله وولده فقال يرد الله على نبى ولدا ليس له من صلبه قال فما تجعت فيها قال الله قال رد عليه أهله وولده من صلبه ومثل أجور ولده فقال هذا احسن

﴿تنبيه﴾ ما المانع أن المراد ان الله تعالى آتاه عدد أولاده ومثل ذلك العدد من زوجته التى قال له الله تعالى فى حقها (خذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث) وهذا هو الظاهر من الآية كما لا يخفى وقال له رجل انى حلفت ان لا اكلم امرأتى أو تكلمنى وحلفت ان لا تكلمنى أو أكلمها فقال لا حنث عليكما فسمع سفيان الثورى ذلك فجاء مغضبا وقال تبيح الفروج من أين لك هذا قال لما

فأفهمته باليمين بعد ما حلف كانت مكلمة له فسقطت يمينه فإن كلمها فلا حنث
عليه ولا عليها لانها كلمته وكلمها بعد اليمين فسقطت عنهما فقال له سفيان انه
ليكشف لنا من العلم عن شئ كلنا عنه غافلون وسأله ابن المبارك عمن وقع في
قدر طبيخه طائر فمات فقال لاصحابه ما ترون فرووا له عن ابن عباس رضي الله
عنهما أنه يهراق المرق ويغسل اللحم ويؤكل فقال هذا ان وقع في حال سكونها
فان وقع في حال غليانها ألقي اللحم فقال له ابن المبارك لم قال لوصول النجس الى
باطنه بخلاف الاول لانه انما وصل الى ظاهره فقط فأعجبه ذلك ونسي انسان
مالا دفنه فجاء اليه فقال له ليس هذا فقها فأحتال لك ولكن اذهب فصل الليلة
الى الصبح فتذكر فصلى الرجل فذكر دون ربع الليل فجاء فأخبره فقال لقد
علمت ان الشيطان لا يدعك تصلي ليلة ويحك هلا أتممت ليلتك شكرا لله تعالى
وشكى اليه مودع انكار وديعه لوديعته وحلف بالله وأكد انه لم يودعه فقال
لا تخبر بجحوده أحدا فأرسل أبو حنيفة الى وديعه فجاء اليه فلما خلا بالوديع
قال له ان هؤلاء بعثوا يستشيرونني في رجل يصلح للقضاء فهل تنشط فتمانع
الرجل قليلا فزاد في ترغيبه ثم قال للمودع اذهب فقل له أحسبك نسيت
أودعتك كذا بعلامة كذا فقال له ذلك فدفع اليه وديعته فرجع الوديع لابي
حنيفة يطلب أن يعينه القضاء فقال له اني أرفع من قدرك ولا أسميك حتى
يحضر ما هو أجل من هذا ودخل اللصوص على رجل فأخذوا ثيابه واستحلفوه
بالطلاق الثلاث أن لا يعلم بهم أحدا فحلف ثم أصبح يرى ثيابه تباع فلا يمكنه ان
يتكلم فسأل أبا حنيفة فقال أحضرني من أكابر حيك فأمرهم أن يجتمعوا
جميعهم في موضع ويخرجوا واحدا واحدا ويقال له هذا لصك فان لم يكن قال لا
وان كان سكت ففعلوا فسكت فعرف اللص فرد عليه جميع ما أخذ منه وبر
في يمينه لانه لم يخبر بهم أحدا وسئل عن تنحنح المؤذنين عند الاقامة أله أصل
قال هو اعلام منهم بأنهم يريدون أن يقيموا وقد روي عن علي كرم الله وجهه
انه كان له مدخل من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل قال فكنت اذا جئت

وهو في الصلاة أدق بالتفهم وتزوج رجل بامرأة سرا فأتت بولد فجحده فرفعته الى ابن أبي ليلى فقال لها هات بينة على النكاح فقالت انما زوجني على أمانة الله تعالى الولي والشاهدان الملكان فطردها القاضي فأتت أبا حنيفة وأخبرته فقال لها ارجعي للقاضي وقولي له أحضره لأقيم عليه بينة فاذا أحضره قولي له قل أنا كافر بالولي والشاهدين فلم يستطع أن يقول فاعترف وأقر بالنكاح فألزمه المهر وألحق به الولد ﴿تنبيه﴾ لا يتوهم من ذلك أن النكاح خاليا عن الولي والشهود صحيح لأنه حينئذ باطل باجماع من يعتد به وانما الظاهر أنه كان سرا بشاهدين مجهولين فلما لم تقدر المرأة على اثباتها استخدم ذلك ثم أخبرها أبو حنيفة رحمه الله بما يلجئه الى الاقرار ان صدقت وكان ممن يخشى الله فكان الأمر كما ألهم رحمة الله عليه وطلب من ابن شبرمة أن يثبت له وصية له فقبل بينته ثم قال له احلف أن شاهديك شهدا بحق قال ليس على يمين كنت غائبا فقال ضلت مقاييسك قال ما تقول في أعمى شج فشهد له شاهدان بذلك أعليه يمين مع شاهديه أنهما شهدا له بحق وهو لم ير فانقطع القاضي وحكم له بالوصية وأنكر يحيى بن سعيد قاضي الكوفة اجماع أهلها على رأى أبي حنيفة فأرسل اليه أصحابه يناظرونه منهم زفر وأبو يوسف فقال له ما تقول في عبد بين اثنين أعتقه أحدهما قال لا يجوز لأنه ضرر وهو منهي عنه قال فان أعتقه الآخر قال جاز قال ناقضت ان كان عتق الأول لغوا فقد أعتقه الثاني وهو عبد فلم ينفذ فسكت وانقطع وقال الليث ابن سعد كنت أسمع بذكر أبي حنيفة وأتمنى رؤيته فاني بمكة اذ رأيت الناس مجتمعين على شخص فسمعت انسانا ينادي يا أبا حنيفة فعلمت أنه هو فسأله رجل فقال له ان لي مالا كثيرا وولدا أزوجه وأنفق عليه المال الكثير فيطلق فيذهب مالي فهل لي من حيلة قال ادخل به سوق الرقيق واشتر من يعجبه ثم زوجه اياها فان طلقها رجعت مملوكة لك وان أعتقها لم ينفذ عتقه قال الليث فوالله ما أعجبني جوابه كما أعجبني سرعة جوابه وشك شخص في طلاق زوجته فسأل شريكا فقال طلقها ثم راجعها والثوري

فقال قل ان كنت طلقتها فقد راجعتها او زفر فقال هي امرأتك حتى تتيقن طلاقها وأبا حنيفة فقال اما الثوري فافتاك بالورع وأما زفر فافتاك بعين الفقه واما شريك فهو كرجل قلت له لا أدري أصاب ثوبي بول أو لا فقال بل على ثوبك فاغسله ﴿تنبيه﴾ لا خلاف بين هؤلاء الائمة في المعنى للاجماع على ان من شك في طلاق زوجته لا يلزمه شئ بل هو في نكاحه ظاهرا وانما الخلاف في الاولى فرأى شريك ايقاعه لانه مع الشك غير جازم بالرجعة وتعليقها فيه خلاف والثوري الرجعة مع التعليق ولم ينظر للخلاف فيه واعرض عن ذلك زفر وبين أصل الحكم وهو عدم الوقوع وكان الربيع حاجب المنصور معاديا له فقصد أن يرميه عنده فقال له انه يخالف جدك ابن عباس في قوله ان الاستثناء لا يشترط اتصاله فقال يا أمير المؤمنين ان الربيع يزعم أنه لا بيعة لك في رقاب جندك لانهم يحلفون لك ثم يرجعون بمنازلهم ويستثنون فتبطل بيعتهم فضحك المنصور وقال يا ربيع لا تتعرض لابي حنيفة فلما خرج قال له الربيع أردت قتلي قال لا ولكنك الذي أردت قتلي فخلصتك وخلصت نفسي وقال بعض أعدائه اليوم أقتله عند المنصور ثم سأله بين يديه فقال يا أبا حنيفة ان الرجل منا يدعوه أمير المؤمنين فيأمره بضرب عنق الرجل لا ندري ما هو أيسعه أن يضرب عنقه قال أمير المؤمنين يأمر بالحق أو الباطل قال بالحق قال انفذ الحق حيث كان ولا تسأل عنه ثم قال أبو حنيفة ان هذا أراد أن يوثقني فربطته وسرق طاوس مملوك لجاره فشكى اليه فقال اسكت ثم غدا المسجد فلما اجتمع أهله قال أما يستحي من يسرق طاوس جاره ثم يجيء يصلي وأثر ريشه برأسه فمسح رجل رأسه فقال له يا هذا اردد على صاحبك طاوسه فرد وكان الاعمش ينقص منه لحدة في خلقه فوقع له ان حلف بطلاق امرأته ان أخبرته بفناء الدقيق أو كتبت به أو أرسلت أو ذكرت لاحد ليذكره أو أومأت في ذلك فتحيرت في ذلك فقيل لها عليك بابي حنيفة فقصت عليه ذلك فقال لها اذا فرغ جراب الدقيق شديه بثوبه وهو نائم فاذا استيقظ

رآه وصار قثاء الدقيق فصارت قثاء وجعل يقول هذا والله من حيل أبي حنيفة كيف خلع وهو حي وهو مقصنا في نسائنا ويجيء بجبر نارقه فهمنا وحلف رجل ليقربن امرأته نهارا في رمضان فتحير الناس في المخرج من ذلك فقال يسافر بها ويقربها حينئذ وتنبأ في زمنه رجل قال أمهلوني حتى آتي بعلامة فقال من طلب منه علامة كفر لانه بطلبه ذلك مكذب لقول النبي صلى الله عليه وسلم لا نبي بعدي وتزوج أخرى على زوجته أم حماد فقالت لابد أن تطلقها ثلاثا والا لا أصاحبك فاحتال وأمر الجديدة أن تدخل له عندها وتسأله أيحل للمرأة أن تهجر زوجها فدخلت وسألته عن ذلك فقالت أم حماد لا بد أن تطلق الجديدة فقال كل امرأة لي خارج هذه الدار فهي طالق ثلاثا فرضيت ولم تطلق الجديدة وقال له رافضي من أشد الناس قال اما على قولنا فعلي كرم الله وجهه لانه علم ان الحق لابي بكر فسلمه له وأما على قولكم فأبو بكر لانه أخذه من علي قهرا عليه ولم يمكن عليا أن ينتزعه منه فتحير الرافضي وسئل عمن طلق ثلاثا ان اغتسل اليوم من جنابة ثم طلق ثلاثا ان ترك صلاة من صلوات يومه هذا ثم طلق ثلاثا ان لم يجامع امرأته في هذا اليوم فقال يصلي العصر ثم يجامعها ثم يغتسل بعد الغروب ويصلي المغرب والعشاء أراد به فوات اليوم الخمس وسئل عمن قال لزوجته على سلم ان صعدت فأنت طالق وان نزلت فأنت طالق ما الحيلة فيها قال يحمل السلم وهي عليه فيوضع بالارض أو تحمل بغير ارادتها فتوضع بالارض وعمن بيد امرأته قدح ماء فقال ان شربتيه أو صببتيه أو وضعتيه أو ناولتيه انسانا فأنت طالق قال تنزل فيه ثوبا لتنشفه به وحلف رجل أن لا يأكل البيض ثم حلف ليأكلن ما في كم فلان واذا هو بيض فقال يحضنه دجاجة فاذا بقي فرخا شواه وأكله أو طبخه وأكله كله مع المرقة (تنبيه) الحيلة عندنا في ذلك أن يجعله في ناطف ويبر لانه صدق عليه انه أكل ما في كمه ولم يصدق عليه انه أكل بيضا لاستهلاكه وولدت امرأة ولدين ظهرهما

واحد فمات أحدهما فسأل علماء الكوفة فتاهوا فيها، وقال أبو حنيفة
يدفن الميت ويوصل بالتراب الى قطع الاتصال ففعلوا فانفصل الحي بعد ذلك
وكان يسمى مولى أبي حنيفة. واجتمع في المدينة بمحمد بن الحسين بن علي رضي
الله عنهم فقال له أنت الذي خالفت أحاديث جدي صلى الله عليه وسلم بالقياس
فقال معاذ الله من ذلك اجلس فإن لك حرمة كحرمة جدك عليه أفضل
الصلاة والسلام فجلس وجثى أبو حنيفة بين يديه فقال له الرجل أضعف أم
المرأة فقال المرأة قال كم سهمها قال نصف سهم الرجل قال لو قلت بالقياس
لقلبت الحكم ثم قال الصلاة أفضل أم الصوم قال الصلاة قال لو قلت بالقياس
لأمرت الحائض بقضائها دون قضائه ثم قال البول نجس أم النطفة قال
البول قال لو قلت بالقياس لأوجبت الغسل من البول دون المني معاذ الله ان
أقول على غير الحديث بل أخدم قوله فقام وقبل وجهه وقدم غريب الكوفة
بزوجة فائقة الجمال فعلق بها كوفي وادعى أنها زوجته وصدقته فعجز
زوجها عن اثبات نكاحه ورفعت المسألة على أبي حنيفة فذهب هو وابن
أبي ليلى وجماعة الى رحل الزوج وأمر نسوة أن يدخلنه فنبحت عليهن كلابه
ثم أمر المرأة أن تدخل فتبصبص حولها فقال الامام ظهر الحق فاعترفت
المرأة ونظير ذلك ما نقل عن علماء مذهبه أنه إذا اختلا بامرأة أنه وعنه كلبه
صحت الخلوة وتأكد الصداق أو كلبها لم يتأكد وأراه ابن هبيرة فصا مكتوبا
عليه عطا بن عبد الله وقال أكره التختم به لما كان اسم غيري عليه ولا يمكن
حكه فقال دور رأس الباء يكون عطاء من عند الله فتعجب من سرعة
استخراجه وقال له أكثر المجيء الينا قال وما أصنع عندك ان قربتني فتنتني
وان أقصيتني أحزنتني وليس عندي ما أخافك عليه وقال ذلك أيضا لما قال له كل
من المنصور وأمير الكوفة عيسى بن موسى لو أكثرت المجيء الينا ودخل
الضحاك المروزي الكوفة وأمر بقتل الرجال كلهم فخرج اليه أبو حنيفة
في قميص ورداء فقال له لم أمرت بقتل الرجال قال لأنهم مرتدون قال أكان

اعتقدتم غير ما هم عليه فارتدوا حتى صاروا الى ما هم عليه أم كان هذا دينهم قال
أحد ما قلت شيئا بل قال الضحاك أخطأنا وأفسدنا وأسأنا ونجا الناس وفي
رواية أن الخوارج لما دخلوا الكوفة ورأيهم تكفير كل من خالفهم قيل لهم
عن أبي حنيفة هذا شيخ هؤلاء فأحضروه وقالوا تب من الكفر فقال أنا تائب
من كل كفر فقيل لهم إنه قال أنا تائب من كفركم فأخذوه فقال لهم أبعلم قلتم أم
بظن قالوا بظن قال إن بعض الظن إثم والإثم كفر عندكم فتوبوا من الكفر قالوا
تب أنت أيضا من الكفر ﴿تنبيه﴾ وقع لبعض حساد أبي حنيفة الذين
ينتقصونه عما هو بري منه أنه ذكر من مثالبه أنه كفر مرتين واستتيب مرتين
وإنما وقع له ذلك مع الخوارج فأرادوا انتقاصه به وليس بنقص بل هو غاية في
ومنقبة التي لم يجد أحد جوابا بحضرته رحمة الله عليه وأوصى رجل الى آخر
وسلمه كيسا فيه ألف دينار وقال إذا كبر ولدي فأعطه ما تحب فلما كبر أعطاه
الكيس دون ما فيه فجاء الولد لأبي حنيفة وذكر له الخبر فدعا الوصي وقال
أعطه الألف لأن الذي تحبه هو الذي أمسكته إذ كل أحد غالبا إنما يمسك الذي
يحبه ويعطي الذي لا يحبه وكان بعض المحدثين يقع فيه فوقع في ورطة لم ير من
يخلصه منها غيره وهي أنه قال لزوجته إن سألتني الليلة الطلاق ولم أطلقك
فأنت طالق وقالت إن لم أسألك الليلة الطلاق فعبدي حر فقال لها الإمام سليه
الطلاق وقال له قل أنت طالق إن شئت ثم قال اذهبا فلا حنث عليكما وقال له
تب الى الله من الوقيعة فيمن حمل اليك العلم فتاب وكان بعد يدعو له دبر كل
صلاة وحلف شخص بالطلاق من زوجته إن لم تطبخ له قدرا فيها مكوك ملح
لا يظهر له أثر في الطعام المطبوخ فسئل عنها فقال تطبخ بيضة في قدر وتلقى
عليه الملح المحلوف عليه وأكثر منه وأراد جماعة من الدهرية قتله فقال
حتى نبحث في مسئلة ثم شأنكم وما أردتم فقال ما تقولون في سفينة مشحونة
بالأثقال في بحر ذي موج متلاطم بلا ملاح أيجوز هذا قالوا هذا محال قال
أيجوز في العقل مثل وجود هذه الدنيا مع تباين أطرافها واختلاف أحوالها

وأمورها وتغييراً عمالها وأحوالها من غير صانع حكيم ومدبر عليم فتابوا جميعاً
وغمدوا سيوفهم وجاءه رجل له على آخر ألف أنكرها وأراد المدعي وليس مع
المدعي الا شاهد واحد وعلم أبو حنيفة صدقه فأمره أن يهبه لحاضر حضرة
شاهده ثم أمر الحاضر بالدعوى على المدين بالالف وأمر الشاهد والواهب
أن يشهدا له بالالف ففعلا فحكم القاضي بالالف وهذا الباب طويل وفيما
ذكرناه كفاية على ان في بعض ما لم نذكره خشية أو نزاعاً في ثبوته أوجب حذفه
﴿الفصل الرابع والعشرون في حلمه وصبره﴾ قال يزيد بن هرون ما رأيت
أحلم منه كان له فضل ودين وورع وحفظ لسانه واقبال على ما يعنيه وقال
غيره شتمه رجل وأطال بقوله يا زنديق فقال له غفر الله لك هو يعلم مني خلاف
ما تقول وقال عبد الرزاق ما رأيت أحلم منه كنا معه بمسجد الخيف والناس
حوله فسأله بصري عن مسئلة فأجابه فاعترضه بان الحسن خالفه فقال أخطأ
الحسن فقال له رجل يا ابن الزانية أنت تقول أخطأ الحسن فصاح الناس
وهموا به فسكنهم أبو حنيفة وأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال نعم أخطأ الحسن
وأصاب ابن مسعود فيما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول
ما جازيت أحدا بسوء قط ولا لعنت أحدا ولا ظلمت مسلما ولا معاهدا ولا
غششت أحدا ولا خدعته وقيل له ان الثوري ينال منك ويتكلم فيك فقال
غفر الله له ثم مدحه وكان بجواره اسكاف اذا سكر يغني (شعر)

أضاعوني وأي فتى أضاعوا • ليوم كريهة وسداد ثغر

ففقد صوته ليلة فقيل أخذه العسس فركب للامير فزادى في تطلبه وأمر باطلاقه
واطلاق كل من مسك تلك الليلة وما بعدها فركب راجعا والاسكاف يمشي خلفه
فقال يا فتى أضعناك قال لا بل حفظت ورعيت جزاك الله خيرا ثم تاب
وحسنت توبته ولازم مجلسه حتى صار فقيها وقال الوليد بن القاسم كان كريم
الطبع عظيم التفقد والمواساة لاصحابه وقال عصام لم يكن لاحد من الخلق كما
لابي حنيفة على أصحابه وكان الذباب اذا وقع على أحد منهم يرى مشقة ذلك

عليه وقيل له عن بعضهم أسقط من سطحه فصاح صيحة سمعها من في
المسجد وقام فزعا عليه حافيا ثم بكى وقال لو أمكنني حمل ذلك حملته وكان يأتيه
ثيابا ماء ومساء حتى برئ وجاء رجل فقال اني وضعت كتابا على خليلك الى فلان
فاعطاني أربعة آلاف درهم فقال أبو حنيفة ان كنتم منتفعون بهذا فاعطوه
وقال أبو معاذ كان أبو حنيفة مع معرفته يفرق من سفيان وبينهما ما بين
الاقران يقربني ويقضي حوائجي وكان سليما ورعا وقورا فقد جمع الله فيه
خصالا لامرفقة وشتمه رجل وهو في درسه وأكثر فما التفت اليه ولا قطع
كلامه ونهى أصحابه عن مخاطبته فلما فرغ وقام تبعه الى باب داره فقام على
بابه وقال للرجل هذه داري ان كان بقي معك شيء فاتمه حتى لا يبقى في نفسك شيء
فاستحيى الرجل وفي قصة أخرى انه تبعه فلما دخل جعل يسبه ويشتم فلم يجبه
أحد فقال أتعدونني كلبا فقيل من داخل الدار نعم وقال أبو يوسف كان
يحمل والدته على حمار الى مجلس عمر بن ذر كراهية ان يرد أمرها وقال أبو
حنيفة ربما ذهبت بها الى مجلسه وربما أمرتني أن أذهب اليه وأسأله عن
مسألة فآتيه وأذكره وأقول له ان أمي أمرتني أن أسألك عنه فيقول
وأنت تسألني عن هذا فأقول هي أمرتني فيقول قل لي كيف هو حتى أخبرك
فأخبره بالجواب ثم يخبرني به فآتيها وأخبرها عنه بما قال ونظير ذلك انها
استفتت عن شيء فافتيها فلم تقبله وقالت لا أقبل الا قول زرعة القاص أي
الواعظ فجاء بها اليه وقال له ان أمي تستفتيك في كذا فقال أنت أعلم وأفقه
فأفتها قال أفتيها بكذا فقال زرعة القول ما قال أبو حنيفة فرضيت وانصرفت
وقال الجرجاني سأله بحضرتي شاب فأجابه فقال له أخطأت فقلت لمن حوله
سبحان الله ألا تعظمون هذا الشيخ فالتفت الي فقال دعهم فاني قد عودتهم
ذلك من نفسي وقال ما صليت صلاة منذ مات حماد الا استغفرت له مع والدي
وما مددت رجلي نحو داره وان بيني وبينه سبع سكك واني لاستغفر لمن تعلمت
منه أو علمني وقال ابن المبارك ما كان أوقر من مجلسه كان حسن السمت

حسن الثوب حسن الوجه وقال زفر كان جهولا صبورا ومر به سفيان بن
عيينة وقد ارتفع صوته وصوت أصحابه بالمسجد فقلت يا أبا حنيفة هذا مسجد
والصوت لا يرفع فيه فقال دعهم فانهم لا يفقهون الا به وقال الرشيد لأبي
يوسف صف لي أخلاق أبي حنيفة فقال يا أمير المؤمنين ان الله عز وجل يقول
(ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) كان علمي به رحمه الله كان شديد الذب
عن محارم الله تعالى ان تؤتى شديد الورع لا ينطق في دين الله بما لا يعلم يحب
ان يطاع الله تعالى ولا يعصى مجانبا لأهل الدنيا في زمانهم لا ينافس في عزها
طويل الصمت دائم الفكر على علم واسع لم يكن مهذارا ولا ثرثارا ان سئل عن
مسئلة وكان عنده فيها علم نطق به وأصاب فيها وان كان غير ذلك قاس على
الحق واتبعه صائنا لنفسه ودينه بذولا للعلم والمال مستغنيا بنفسه عن جميع
الناس لا يميل الى طمع بعيدا عن الغيبة لا يذكر أحدا الا بخير فقال الرشيد
هذه أخلاق الصالحين وقال المعافا الموصلي كان فيه عشر خصال ما كانت
واحدة منها في انسان الا صار رئيسا في وقته وساد قبيلته الورع والصدق
والعفة ومداراة الناس والمودة الصادقة والاقبال على ما ينفع وطول
الصمت والاصابة بالقول ومعونة اللهفان ولو عدوا وقال ابن فضيل كان
يجلس ومعه أصحابه كزفر وداود الطائي والقاسم بن معن فيتطارحون مسئلة
فيما بينهم فيرتفع فيها أصواتهم ثم يتكلم أبو حنيفة فيسكتون حتى يفرغ
فيحفظون ما تكلم به فاذا أحكموا أخذوا في مسئلة أخرى وكان يقول لو كان
العوام لي عبيدا لاعتقتهم وتبرأت من ولائهم

(الفصل الخامس والعشرون في أكله من كسبه ورده للجوائز) قد تواتر عنه
رحمة الله عليه انه كان يتجر في الخز مسعودا ماهرا فيه وله دكان في الكوفة
وشركاء يسافرون له في شراء ذلك وبيعه مستغنيا بنفسه لا يميل الى طمع
ومن ثمة قال الحسن بن زياد والله ما قبل لأحد منهم أي الخلفاء والامراء جائزة
ولا هدية وصل اليه من المنصور ثلاثون ألف درهم في دفعات فقال له يا أمير

المؤمنين

المؤمنين انى ببغداد غريب وعندى ودائع الناس وليس لها عندى موضع فاجعلها فى بيت المال فاجابه فلما مات اخرجت ودائع الناس من بيت المال فردها فقال المنصور خدعنا ابو حنيفة وقال مصعب اجازه المنصور بعشرة آلاف درهم فشق ذلك عليه فقال ان ردها غضب وان قبلها دخل عليه فى دينه ما يكرهه فشاورنى فقلت هذا مال عظيم فى عينه اذا دعيت لقبضه قل لم يكن هذا أملى من امير المؤمنين فدعى لقبضه فقال ذلك فبلغ المنصور فحبس الجائزة فكان يكاد لا يشاورنى فى امره غيرى وخاصمت المنصور زوجته فى ميله عنها وطلبت العدل ثم رضيت ان يكون ابو حنيفة حكما بينهما فاحضر وجلست خلف الستر فقال له المنصور كم يحل من النساء قال اربع قال ومن الاماء قال ما شاء قال هل يجوز لاحد ان يقول بخلاف ذلك قال لا قال اسمعى يا هذه ثم قال يا امير المؤمنين انما احل الله تعالى ذلك لاهل العدل والا فواحدة قال تعالى فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة الآية فينبغى لنا ان نتأدب بآداب الله تعالى فنتعظ بمواعظه فسكت المنصور فلما خرج ابو حنيفة انبعثت هدية سنية فردها عليها وقال انما ناضلت عن دين الله لا تقربا لاحد ولا طلبا للدنيا

﴿الفصل السادس والعشرون فى ملبسه﴾ قال حماد ولده كان حسن الهيئة كثير التعطر يعرف بريح الطيب قبل ان يرى وقال ابو يوسف كان يتعهد شسعه حتى لم ير منقطع الشسع وقال غيرهما كان يلبس قلنسوة طويلة سوداء قال النضر قال لى وقد اراد الركوب اعطنى كساءك وخذ كسائى ففعلت فلما رجع قال لى اخجلتنى بغلظ كسائك وكان بخمسة دنانير ثم رأيت عليه كساء قومته بثلاثين دينارا وقوم رداءه وقميصه باربعمائة درهم وكان له لباس جبة فنك وجبة سنجاب وجبة ثعلب يصلى فيها رداء عليه علم وسبع قلانس احداها سوداء

﴿الفصل السابع والعشرون فى شئ من حكمه وآدابه﴾ كان يتمثل كثيرا بقول القائل (شعر)

كفى حزناً ان لا حياة هنيئة • ولا عمل يرضى به الله صالح

وكان يقول من تكلم في شيء من العلم وتقلده وهو يظن ان الله تعالى لا يسأله عنه كيف أفتيت في دين الله فقد سهلت عليه نفسه ودينه من طلب الرياسة قبل وقتها عاش في ذل لا يعرف الفقه وقدره وقدر أهله من كان ثقيل المجالسة رأيت المعاصي ذلة فتركها مروءة فصارت ديانة من لم يمنعه العلم عن محارم الله تعالى فهو من الخاسرين جمع ألهم صدق العلائق بان لا يأخذ الا قدر حاجة يعين على حفظ الفقه ان لم يكن أولياء الله تعالى في الدنيا والآخرة العلماء فليس لله ولي وأفتى بعد العصر في مسائل فاجاب فيها فقيل له أليس كانوا يكرهون الكلام في مثل هذا الوقت الا بخير فقال أبو حنيفة وأي خير أكثر من ان يقول هذا حلال وهذا حرام نزه الله وتحذر الخلق من معاصيه ان الجواب اذا فرغ من الزاد ضاع صاحبه وأتى اليه رجل بكتاب شفاعة ليحدثه فقال ما هذا بطلب العلم قد أخذ الله الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه لا يكون العالم له خواص ولكن يعلم الناس ويريد الله بتعليمه وقال لبعض الناس لا تسألني عن أمر الدين وانا ماش أو أحدث الناس أو نائم أو متكئ فان هذه الاماكن لا يجتمع فيها عقل الرجال وسئل عن علي ومعاوية وقتلى صفين فقال أخاف ان أقدم على الله تعالى بشيء يسألني عنه ولو سكت لم أسئل عنه بل عما كلفت به فالاشتغال به أولى وقال لاصحابه ان لم تريدوا بهذا العلم الخير ما وفقوا وكان يقول عجبت لقوم يقولون بالظن ويعملون به والله تعالى يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم (ولا تقف ما ليس لك به علم) الآية

﴿تنبيه﴾ يتعين تأويل كلامه هذا رحمة الله عليه على أن تعجبه انما هو ممن يقول بالظن أو يعمل به في العقائد المطلوب فيها اليقين أو في الفروع وليس مجتهدا ولا مقلدا لمجتهد بخلاف المجتهد ومقلديه لان الفقه من باب الظنون وان قيل الحكم معلوم والظن انما هو في طريقه ولذا عبر وافي حده بانه العلم بالاحكام الخ وقال من تعلم العلم للدنيا حرم بركته ولم يرسخ في قلبه ولم ينتفع به

كثيرا أحد ومن تعلمه للدين بورك له فيه ورسخ في قلبه وانتفع المقتبسون منه بعلمه وقال لابراهيم بن أدهم يا ابراهيم انك قد رزقت من العبادة شيأ صالحا فليكن العلم من بالك فانه رأس العبادة وبه قوام الامور وقال من طلب الحديث ولم يتفقه كان كمن يجمع الادوية ولا يدري منافعها حتى يجيء الطبيب كان المحدث لا يعرف وجه حديثه حتى يجيء الفقيه اذا أردت حاجة من حاجات الدنيا فلا تأكل حتى تقضيها فان الاكل يغير العقل وظاهر ان مراده الاكل الكثير وقال له المنصور لم تغشنا قال لانه ليس عندي ما أخاف عليه وان قربتني فتنتني وان أقصيتني أخزيتني وقال لامير الكوفة كسرة خبز وقعب ماء وفرد ثوب مع السلامة خير من العيش في نعيم يكون من بعده ندامة وكان يقول اذا تكلم عنده في الناس اياكم ونقل ما لا يحبه الناس غفر الله لمن قال فينا مكروها ورحم الله من قال فينا جميلا تفقهوا في دين الله تعالى وذروا الناس وما قد اختاروا لانفسهم فيغنيهم الله تعالى اليكم وقال من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا وكل شدة فيها من قطع عليك حديثك فلا تعده فانه قليل المحبة في العلم والادب لا تجمع لسبيلك الذنوب وهو نفسك والمال ليغضبك وهو الوارث ما قاتل أحد عليا الا وعلي أعلى بالحق منه ولولا ما شاع من علي فيهم ما علم أحد كيف السيرة في قتال بغاة المسلمين ونظير هذا قول الشافعي رحمه الله أخذت أحكام البغاة وقتالهم من قتال علي لمعاوية رضي الله عنهما وأجاب في مسئلة فقيل له لا يزال هذا المصر أي الكوفة بخير ما أبقاك الله تعالى فيه فقال (شعر)

خلت الديار فسدت غير مسود ● ومن العناء تفردي بالسودد

وتقدم ولده حماد ليصلي بالناس فأخذ أبو حنيفة بمجامع ثوبه فأخره وقدم غيره فقال يا أبت تفضحني قال بل أردت ان تفضح نفسك فنعتك اذ لو صليت فقال قائل أعيدوا صلاتكم خلف هذا فسطر في الكتب و يبقى عاره الى يوم القيامة ●(الفصل الثامن والعشرون في محنته لما أرادوا توليته الوظائف الجليلة

كالقضاء وتولى بيت المال فامتنع) . قال الربيع أرسلني لاحضاره يزيد بن
عمر بن هبيرة متولي العراق لمروان بن محمد آخر ملوك بني أمية فأراده على
بيت المال فأبى فضربه أسواطا وبسط هذه القصة ان ابن هبيرة كان واليا
على العراق من بني أمية فظهرت الفتنة بالعراق فجمع فقهاء العراق فولى
كلا منهم شيأ من عمله وأرسل الى أبي حنيفة ليكون على خاتمه ولا ينفذ
كتاب ولا يخرج شيء من بيت المال الا من تحت يده فامتنع فحلف ان لم يفعل
ليضربنه فقال له الفقهاء ننشدك الله ان لا تهلك نفسك فانا اخوانك وكلنا
كاره لهذا الامر ولم نجد بدا من قبوله فأبى وقال لو أرادني ان أعد له أبواب
المسجد لم أفعل فكيف وهو يريد أن يكتب بضرب عنق رجل مسلم أي مثلا
وختم ذلك لان القتل أعظم الكبائر بعد الشرك وأختم أنا على ذلك الكتاب
فوالله لا أدخل في هذا ابدا فحبسه صاحب الشرطة جمعتين لم يضربه ثم ضربه
أربعة عشر سوطا وفي رواية انه ضربه أياما متوالية فجاء الرجل لابن هبيرة
فقال له ان الرجل ميت فقال قل له يخرجنا من يميننا فسأله فقال لو سألني ان
أعد له أبواب المسجد ما فعلت دعوني أستشير اخواني في ذلك فاعلم ابن هبيرة
ذلك فأمر بتخليته فركب دوابه وهرب الى مكة سنة مائة وثلاثين فأقام بها الى ان
صارت الخلافة للعباسية فقدم الكوفة زمن المنصور فأكرمه وأجله وأمر له
بعشرة آلاف درهم وجارية فأبى قبول ذلك وروى الخطيب واقعة أخرى
مع ابن هبيرة هي انه كلمه في أن يلي الكوفة فأبى عليه فضربه مائة سوط
وعشرة أسواط في كل يوم عشرة أسواط وهو على الامتناع فلما رأى ذلك خلى
سبيله وفي رواية انه أمره بولاية القضاء فامتنع فحبسه فقيل له انه حلف ان
لا يخرجك حتى تلي ولاية ولو يريد بناء تعد له اللبن فقال والله ولو سألني ان أعد
له أبواب المسجد ما فعلت ولما خلى سبيله قال كان غم والدتي بضربي علي أشد
من الضرب وفي رواية انه أمر بضربه على رأسه فانتفخ رأسه ثم أمر
باطلاقه وذكر انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وهو يقول له

أما تخاف الله تعالى تضرب رجلا من أمتي بلا جرم وهدده فأرسل إليه فأخرجه واستحله وكان أحمد بن حنبل لما ضرب في محنته يتذكر حال أبي حنيفة ويترحم عليه ووقع له مع المنصور نحو ذلك وذلك أن ابن أبي ليلى قاضي الكوفة لما مات قال المنصور رخلت الكوفة من حاكم عدل ثم أمر بحمل أبي حنيفة ومسعر والثوري وشريك فحملوا إليه فقال لهم أبو حنيفة أخمن فيكم تخمينا أما أنا فأحتال وأتخلص وأما مسعر فيتجانن وأما سفيان فيهرب وأما شريك فيقع فلما قربوا من بغداد أظهر سفيان أنه يريد قضاء الحاجة فجلس الموكل به ينتظره فرأى سفينة فقال للملاح إن تمكني منها ذبحت تأول قوله صلى الله عليه وسلم من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين ودفع للملاح دراهم فلما لم يجده الموكل به هرب أيضا فلما دخلوا على المنصور تقدم إليه مسعر فقال له هات يدك كيف أنت ودوابك وأولادك فقال أخرجوه فإنه مجنون وعرض على أبي حنيفة تولية القضاء فأبى عليه فحلف ليفعلن فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل فأعاد المنصور فأعاد أبو حنيفة فقال له الربيع الحاجب ألا ترى أمير المؤمنين يحلف قال هو أقدر على كفارة يمينه مني على كفارة يميني فأمر بحبسه ثم دعا به فقال أترغب عما نحن فيه فقال أصلح الله أمير المؤمنين يا أمير المؤمنين اتق الله ولا تشرك في أمانتك من لا يخاف الله والله ما أنا مأمون الرضا فكيف أكون مأمون الغضب فلا أصلح لذلك فقال كذبت أنت تصلح لذلك فقال يا أمير المؤمنين قد حكمت على نفسك إن كنت صادقا فقد أخبرت أمير المؤمنين أني لا أصلح وإن كنت كاذبا فكيف يحل لك أن تولي قاضيا كذابا ومع ذلك فأنا رجل مولى ولا يكاد العرب ترضى بأن يكون عليهم مولى فأمر به إلى الحبس وعرض على شريك فقبله فهجره الثوري فقال أمكنك الهرب فلم تهرب وما قيل إنه تولى عد اللبن أياما ليكفر عن يمينه رده الأئمة بأن الصحيح أنه توفي في السجن من الضرب أو السم كما يأتي

﴿الفصل التاسع والعشرون في سنده في القراءة﴾ جاء في عدة طرق أنه أخذ

القراءة عن الامام عاصم أحد القراء السبعة ووقع لجماعة من المفسرين وغيرهم انهم نسبوا اليه قراآت شاذة اختار القراءة بها وقد شنع أئمة من الحفاظ المتأخرين عليهم في ذلك وانهم اغتروا في نقل ذلك عنه على كتاب لشخص اسمه محمد بن جعفر الخزاعي ألفه في قراآت أبي حنيفة وقد صرح جماعة منهم الدارقطني بان ذلك الكتاب موضوع لا أصل له وأبو حنيفة بري من ذلك انه أعقل وأدين من ان يعدل عن القراآت المتواترة الى قراآت شاذة ولا وجه لكثير منها •

﴿الفصل الثلاثون في سنده في الحديث﴾ مر انه أخذ عن أربعة آلاف شيخ من أئمة التابعين وغيرهم ومن ثمة ذكره الذهبي وغيره في طبقات الحفاظ من المحدثين ومن زعم قلة اعتنائه بالحديث فهو اما لتساهله أو حسده اذ كيف يتأتى لمن هو كذلك استنباط مثل ما استنبطه من المسائل التي لا تحصى كثرة مع انه أول من استنبط من الادلة على الوجه المخصوص المعروف في كتب أصحابه رحمة الله عليهم ولاجل اشتغاله بهذا الاهم لم يظهر حديثه في الخارج كما ان أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لما اشتغلا بمصالح المسلمين العامة لم يظهر عنهما من رواية الاحاديث مثل ما ظهر عمن دونهما حتى صغار الصحابة رضوان الله عليهم وكذلك مالك والشافعي لم يظهر عنهما مثل ما ظهر عمن تفرغ للرواية كابي زرعة وابن معين لاشتغالهما بذلك الاستنباط على ان كثرة الرواية بدون دراية ليس فيه كبير مدح بل عقد له ابن عبد البر بابا في ذمه ثم قال الذي عليه فقهاء جماعة المسلمين وعلمائهم ذم الاكثار من الحديث بدون تفقه ولا تدبر وقال ابن شبرمة أقل الرواية تفقه وقال ابن المبارك ليكن الذي يعتمد عليه الاثر وخذ من الرأي ما يفسر لك الحديث ومن أعذار أبي حنيفة أيضا ما يفيده قوله لا ينبغي للرجل ان يحدث من الحديث الا بما حفظه يوم سمعه الى يوم يحدث به فهو لا يرى الرواية الا لمن حفظه وروى الخطيب عن اسرائيل بن يونس انه قال نعم الرجل النعمان ما كان أحفظه

لكل حديث فيه فقه وأشد فحصه عنه وأعلم بما فيه من الفقه وعن أبي يوسف ما رأيت أحدا أعلم بتفسير الحديث ومواضع النكت التي فيه من الفقه من أبي حنيفة وقال أيضا ما خالفته في شيء قط فتدبرته الا رأيت مذهبه الذي ذهب اليه أنجى في الآخرة وكنت ربما ملت الى الحديث فكان هو أبصر بالحديث الصحيح مني وقال كان اذا صمم على قول درت على مشايخ الكوفة هل أجد في تقويته حديثا أو أثرا فربما وجدت الحديثين والثلاثة فأتيته بها فمنها ما يقول فيه هذا غير صحيح أو غير معروف فأقول له وما علمك بذلك مع انه يوافق قولك فيقول انا عالم بعلم أهل الكوفة وكان عند الاعمش فسئل عن مسائل فقال لابي حنيفة ما تقول فيها فأجاب فقال من أين لك هذا قال من أحاديثك التي رويتها عنك وسرد له عدة أحاديث بطرقها فقال الاعمش حسبك ما حدثتك به في مائة يوم تحدثني به في ساعة واحدة ما علمت انك تعمل بهذه الاحاديث يا معشر الفقهاء أنتم الاطباء ونحن الصيادلة وأنت أيها الرجل أخذت بكلا الطرفين وقد خرج الحفاظ من أحاديثه مسانيد كثيرة اتصل بنا كثير منها كما هو مذكور في مسندات مشايخنا وحذفتها لطول الكلام عليها مع انه ليس فيها كثير غرض

(الفصل الحادي والثلاثون في سبب وفاته) مر ان المنصور طلبه للقضاء وان يكون قضاة بلاد الاسلام من تحت أمره فامتنع فحلف ليفعلن فحلف أن لا يفعل فحبسه وليشددن عليه فامتنع بنفسه وكان يرسل له ان أجبت الخلاص والا قبل فيمتنع ولما اشتد الامتناع أمر ان يخرج كل يوم فيضرب عشرة أسواط وينادى عليه في الاسواق فأخرج وضرب ضربا موجعا حتى سال الدم على عقبيه ونودي عليه وهو كذلك في الاسواق ثم أعيد الى الحبس وضيق عليه تضييقا شديدا حتى في مأكله ومشربه ثم فعل به ذلك الضرب الشديد والنداء في اليوم الثاني والثالث ثم هكذا الى عشرة أيام فبيننذ بكى وأكثر الدعاء فتوفي بعد خمسة أيام وروى جماعة انه رفع اليه قدح فيه سم ليشرب فامتنع

وقال انى لا أعلم ما فيه ولا آمين على قتل نفسي فطرح ثم صب فى فيه قهرا فمات وقيل ان ذلك كان بحضرة المنصور وصح انه لما أحس بالموت سجد فخرجت نفسه وهو ساجد قيل الامتناع عن القضاء لا يوجب للمنصور أن يقتله هذه القتلة الشنيعة وانما السبب فى ذلك ان بعض أعداء أبى حنيفة دس الى المنصور ان أبا حنيفة هو الذى أثار عليه ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على رضى الله عنهم الخارج عليه بالبصرة فخاف خوفا شديدا ولم يقرله قرار وانه قواه بمال كثير فخشى المنصور ومن ميله الى ابراهيم لانه أعنى أبا حنيفة كان وجيها ذا مال واسع من التجارة فطلبه لبغداد ولم يجسر على قتله بغير سبب فطلب منه القضاء مع علمه بانه لا يقبله ليتوصل بذلك الى قتله

﴿الفصل الثانى والثلاثون فى تاريخ وفاته﴾ اتفقوا على انه رحمه الله عليه مات سنة مائة وخمسين عن سبعين سنة والقول الذى انه مات فى مائة سنة واحدى وخمسين غلط كاصرحوا به قال كثيرون وكان موته فى رجب وقيل شعبان وقيل نصف شوال ولم يخلف غير ولده حماد

﴿الفصل الثالث والثلاثون فى تجهيزه﴾ لما توفى رحمه الله عليه أخرج من مكان حبسه فحمله خمسة أنفس الى أن أتوا به الى مكان غسله فغسله الحسن بن عمارة قاضى بغداد وصب عليه أبو رجاء عبد الله بن واقد الهروى ولما فرغ الحسن من غسله قال رحمك الله لم تفطر منذ ثلاثين سنة ولم تتوسد يمينك بالليل منذ أربعين سنة كنت أفقهنا وأعبدنا وأزهدنا وأجمعنا لخصال الخير وقبرت اذ قبرت الى خير وسنة وأتعبت من بعدك وما فرغوا من غسله الا وقد اجتمع من أهل بغداد خلق لا يحصيهم الا الله تعالى كانه نودى لهم بموته وحزر من صلى عليه فقيل بلغوا خمسين ألفا وقيل أكثر وأعيدت الصلاة عليه ست مرات آخرها ابنه حماد ولم يقدر على دفنه الى بعد العصر من الزحام ومكث الناس يصلون على قبره نحو عشرين يوما وأوصى ان يدفن بمقابر الخيزران بالجانب الشرقى لان أرضها طيبة غير مغصوبة ولما بلغ المنصور ذلك قال

يعذر

بعد قيلة حيا وميتا ولما بلغ ابن جريج فقيه مكة وشيخ الشافعي موته استرجع وقال أى علم ذهب ولما بلغ شعبة استرجع وقال طفئ عن الكوفة نور العلم أما انهم لا يرون مثله أبدا وبعد مدة طويلة بنى على قبره الملك أبو سعد المستوفى الخوارزمي قبة عظيمة والى جانبها مدرسة

﴿الفصل الرابع والثلاثون فيما سمع من الهواتف بعد موته﴾ جاء عن صدقة المقابرى وكان مجاب الدعوة انه لما دفن أبو حنيفة سمع صوتا في الليل ثلاث ليال يقول (شعر)

ذهب الفقه فلا فقه لكم • فاتقوا الله وكونوا خلفا

مات نعمان فمن هذا الذى • يحيى الليل اذا ما سجفا

وقيل ان الجن بكته ليلة مات فكانوا يسمعون الصوت بهذين البيتين ولا يرون صورة الشخص

﴿الفصل الخامس والثلاثون في تأدب الائمة معه في مماته كما هو في حياته وان قبره يزار لقضاء الحوائج﴾ اعلم انه لم يزل العلماء وذوو الحاجات يزورون قبره ويتوسلون عنده في قضاء حوائجهم ويرون نجح ذلك منهم الامام الشافعي رحمه الله لما كان ببغداد فانه جاء عنه انه قال انى لاتبرك بأبى حنيفة وأجيء الى قبره فاذا عرضت لى حاجة صليت ركعتين وجئت الى قبره وسألت الله عنده فتقضى سريعا وذكر بعض المتكلمين على منهاج النووى ان الشافعي صلى الصبح عند قبره فلم يقنت فقيل له لم قال تأدبا مع صاحب هذا القبر وذكر ذلك غيره أيضا وزاد انه لم يجهر بالبسملة ولا اشكال في ذلك خلافا لمن غلطه لانه قد يعرض للسنة ما يرجح ترك فعلها لكونه الآن أهم منها ولا شك ان الاعلام برفعة مقام العلماء أمر مطلوب متأكد وانه عند الاحتياج اليه لرغم أنف حاسد أو تعليم جاهل أفضل من مجرد فعل القنوت والجهر بالبسملة للخلاف فيهما وعدم الخلاف فيه ولان نفعه متعد ونفع ذينك قاصر ولا شك أيضا ان الامام أبا حنيفة كان له حساد كثيرون في حياته وبعد مماته حتى رموه بالعظائم وسعوا في قتله تلك القتلة الشنيعة السابقة ولا شك أيضا

ان البيان بالفعل أظهر منه بالقول لان دلالة الفعل عقلية ودلالة القول وضعية وهي يتصور فيها التخلف عن مدلولها بخلاف الدلالة الفعلية اذ الدلالة على كرم زيد بفعله الكرم لا يشبهها الدلالة على كرمه بقوله اني كريم واذا تمهدت هذه الدواعي اتضح ان فعل الشافعي لذلك أفضل من فعله للقنوت والجهر اظهارا لمزيد التأدب مع هذا الامام ولمزيد شرفه وعلوه وانه من أئمة المسلمين الذين يقتدى بهم و يجب عليهم توقيرهم وتعظيمهم وانه ممن يستحيى منه و يتأدب معه من ان يفعل بحضرته خلاف قوله بعد وفاته فكيف في حياته وان الحاسدين له خسروا خسرا ناميا وانهم ممن أضله الله على علم ولما وقف ابن المبارك على قبره قال رحمك الله مات ابراهيم النخعي وحماد بن سليمان وتركا خلفا ومت أنت ولم تترك على وجه الارض خلفا ثم بكى بكاء شديدا وقال الحسن بن عمارة على قبره كنت لنا خلفا ممن مضى وما تركت بعدك خلفا ان خلفوك في العلم الذي علمتهم لم يمكنهم أن يخلفوك في الورع الا بتوفيق

﴿الفصل السادس والثلاثون في بعض منامات حسنة رآها ورؤيت له﴾ روي انه رأى الله تبارك وتعالى تسعا وتسعين مرة فقال في نفسه لئن رأيته تمام المائة لأسألنه بم تنجو الخلائق من عذابه فرآه تبارك وتعالى فسأله فاجابه وعر انه رأى كأنه ينبش قبر النبي صلى الله عليه وسلم وان ابن سيرين وتلميذه أوّلاها بانه يظهر أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم و ينشر علما لم يسبقه اليه أحد قبله قال هشام فنظر أبو حنيفة وتكلم حينئذ ورأى هذه الرؤيا له بعض أصحابه أيضا وان الناس ينظرون اليه ولا ينكر عليه أحد منهم ثم تناول من ذلك التراب قدرا كثيرا فنفخه في الهواء من الجهات الاربع فهالته فقصها على ابن سيرين فقال ويحك ان هذا الذي رأيت لرجل جليل عظيم ان كان فقيها أو عالما قلت انه فقيه قال فوالله ليظهرن هذا الرجل من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم مالا يظهره الناس وليذهبن اسمه شرقا وغربا وفي جميع تلك النواحي التي ذر ذلك التراب فيها وقال أزهر بن كيسان رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وخلفه أبو بكر وعمر فقلت لهما أسأل رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم عن شئ قال سل ولا ترفع صوتك فسألته عن علم أبي
حنيفة لاني كنت زاهدا فيه فقال هذا علم انفع من علم الخضر ورأيت ثلاث
نجوم سقطت من السماء مترتبة فكانت أبا حنيفة ثم مسعرا ثم الثوري فذكر
ذلك لمحمد بن مقاتل فبكى وقال العلماء نجوم الارض ورأى هو رسول الله
صلى الله عليه وسلم في المحشر قائما على حوضه وعن يمينه ابراهيم الخليل عليه
السلام يضع خده على صدر النبي صلى الله عليه وسلم ثم أبا بكر هكذا حتى عد
سبعة عشر شيخا ورأى أمام الحوض بعض جيرانه وبين يديه اناء فسأله أن
يناوله ليشرب فقال حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فأذن له
فاعطاه كأسا فشرب به وسقى أصحابه كلهم فلم ينقص منه قدر أنملة وكان ذلك ماء
أبيض من اللبن وأبرد من الثلج وأحلى من العسل ورأى بعض الابدال محمد
ابن الحسن فقال له مافعل الله بك قال قال اني لم أجعل جوفك وعاء العلم وأريد
أن أعذبك فقلت له مافعل بابي يوسف قال فوقي قلت فما فعل بابي حنيفة قال في
أعلى عليين وفي رواية فوق أبي يوسف بطبقات ورؤي بعض الصالحين
فقيل له مافعل الله بك قال غفر لي وباهى بي وبابي حنيفة النعمان بن ثابت
الملائكة ونحن وهو في أعلى عليين وقام شخص لمقاتل بن سليمان في حلقته
فقال رأيت كأن رجلا نزل من السماء وعليه ثياب بيض فقام على أطول
منارة ببغداد ونادى ماذا افقد الناس فقال مقاتل لئن صدقت رؤياك
ليفقدن أعلم أهل الدنيا فلم يمت الا أبو حنيفة فاسترجع مقاتل ثم قال مات من
كان يفرج عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم وعن أبي معاذ الفضل بن خالد
قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ما تقول في علم أبي
حنيفة فقال ذلك علم يحتاج الناس اليه وعن مسدد بن عبد الرحمن البصري
انه نام بمكة بين الركن والمقام قبيل الفجر فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله ما تقول في هذا الرجل الذي بالكوفة النعمان بن ثابت
آخذ من علمه فقال صلى الله عليه وسلم خذ من علمه واعمل بعمله فنعم الرجل هو
قال ففهمت وكنت أكره الناس للنعمان وأنا أستغفر الله مما كان مني ورأى

بعض أئمة الحنابلة النبي صلى الله عليه وسلم قال فقلت له يا رسول الله حدثني من المذاهب فقال المذاهب ثلاثة فوقع في نفسي انه يخرج مذهب أبي حنيفة لتمسكه بالرأي فابتدأ وقال أبو حنيفة والشافعي وأحمد ثم قال ومالك أربعة أربعة فقلت أيها خير فغالب ظني انه قال مذهب أحمد ﴿ تنبيه ﴾ زعم بعض حاسديه انه رؤي له منامات بضد ذلك منها ان الزبير بن أحمد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا حنيفة على يساره فالتفت وقال له فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين والشافعي عن يمينه فالتفت وقال له أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وليس هذا المنام بصحيح لان الامام الحافظ الديلمي صاحب الفردوس شافعي ومع ذلك روى عن المظفر عن الاستاذ الحافظ أبي جعفر القاييني انه رأى مناما طويلا مشتملا على أشياء سألها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منها اختلاف الائمة فقال صلى الله عليه وسلم كل في اجتهاده مصيب فقال يا رسول الله أبو حنيفة يقول المجتهدات مصيبات والحق في واحد والشافعي يقول المجتهدات مصيب ومخطئ معفو عنه فقال صلى الله عليه وسلم هما قريبان في المعنى وان كانا مختلفين في اللفظ فقلت يا رسول الله فايهما أولى بالاخذ فقال كلاهما على الحق قلت فما معنى قول الزبير بن أحمد وذكر ما مر عنه فقال صلى الله عليه وسلم لا أحفظه ولو قلت لقلت لكليهما أولئك على هدى من ربهم قلت الحمد لله الذي جعل في الامر سعة وأرجو أن يكون اختلافهم رحمة ومنها منام آخر نحو ذلك حذفته لشناعته ويكفي في رده ما مر له من المنامات على انها كثيرة فاعا اقتصرت منها على غررها اختصارا

﴿ الفصل السابع والثلاثون في الرد على من قدح في أبي حنيفة بتقديمه القياس على السنة ﴾ قال الحافظ ابن عبد البر ما حاصله أفرط أصحاب الحديث في ذم أبي حنيفة وتجاوزوا الحد في ذلك لتقديمه القياس على الاثر وأكثر أهل العلم يقولون اذا صح الحديث بطل الرأي والقياس لكنه لم يرد الا بعض أخبار الآحاد بتأويل محتمل وكثير منه قد تقدمه اليه غيره وتابعه عليه مثله وجل ما وجد له من ذلك تبع فيه أهل علم بلده كابراهيم النخعي وأصحاب ابن

مسعود الا أنه أكثر من ذلك هو وأصحابه وغيره انما يوجد له ذلك قليلا ومن ثمة لما قيل لاحمد بن حنبل ما الذى نقمتم عليه قال الرأى قيل أليس مالك تكلم بالرأى قال بلى ولكن أبو حنيفة أكثر رأيا منه قيل فهلا تكلمتم فى هذا بحصته وهذا بحصته فسكت أحمد قال الليث بن سعد أحصيت على مالك سبعين مسئلة قال فيها برأيه وكلها مخالفة لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كتبت اليه أعظه فى ذلك ولم نجد أحدا من علماء الأمة أثبت حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رده الا بحجة كادعاء نسخ بأثر مثله أو باجماع أو بعمل يجب على أصله الانقياد اليه أو طعن فى سنده ولورده أحد من غير حجة لسقطت عدالته فضلا عن امامته ولزمه اسم الفسق ولقد عافاهم الله من ذلك وقد جاء عن الصحابة رضى الله عنهم من اجتهاد الرأى والقول بالقياس على الاصول ما يطول ذكره وكذلك التابعون وعدد منهم خلقا كثيرين انتهى كلام ابن عبد البر وفيه جواب شاف عن ذلك القدح فتدبره والحاصل أن أبا حنيفة لم ينفرد بالقول بالقياس بل على ذلك عمل فقهاء الامصار كما قاله ابن عبد البر وبسط الكلام عليه ردا على من جهل فجعل ذلك عيبا ﴿تنبيه﴾ قد عد جماعة الامام أبا حنيفة رحمه الله من المرجئة وليس هذا الكلام على حقيقته أما أولا فقال شارح المواقف كان غسان المرجئ يحكى ما ذهب اليه من الارجاء عن أبى حنيفة ويعده من المرجئة وهو افتراء عليه قصد به غسان ترويج مذهبه بنسبته الى هذا الامام الجليل الشهير وأما ثانيا فقد قال الآمدى لعل عذر من عده من مرجئة أهل السنة أن المعتزلة كانوا فى الصدر الاول يلقبون من خالفهم فى القدر مرجئا أو لانه لما قال الايمان لا يزيد ولا ينقص ظن به الارجاء بتأخير العمل عن الايمان وليس كذلك اذ عرف منه المبالغة فى العمل والاجتهاد فيه وأما ثالثا فقد قال ابن عبد البر كان أبو حنيفة يحسد وينسب اليه ما ليس فيه ويختلق عليه ما لا يليق به وقد أقبل عليه وكيع فرآه مطرقا مفكرا فقال له من أين فقال من عند شريك فأنشأ يقول (شعر)

ان يحسدونى فانى غير لائمهم • قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لى ولهم مابى ومابهم • ومات أكثرنا غيظا بما يجد
قال وكيع وأظنه كان بلغه عن شريك شيء

﴿الفصل الثامن والثلاثون فى رد ماقيل فيه من الجرح﴾ قال أبو عمر يوسف ابن عبد البر والذين رووا عن أبى حنيفة ووثقوه وأثنوا عليه أكثر من الذين تكلموا فيه والذين تكلموا فيه من أهل الحديث أكثر ماعابوا عليه الاغراق فى الرأى والقياس وقدمر ان ذلك ليس بعيب وكان يقال يستدل على نباهة الرجل من الماضين بتباين الناس فيه ألا ترى أن عليا كرم الله وجهه هلك فيه فتيان محب أفرط ومبغض فرط قال الامام على بن المدينى أبو حنيفة روى عنه الثورى وابن المبارك وحماد بن زيد وهشام ووكيع وعباد ابن العوام وجعفر بن عون وهو ثقة لا بأس به وكان شعبة حسن الرأى فيه وقال يحيى بن معين أصحابنا يفرطون فى أبى حنيفة وأصحابه فقيل له أكان يكذب قال أنبل من ذلك وفى طبقات شيخ الاسلام التاج السبكى الحذر كل الحذر ان تفهم من قاعدتهم ان الجرح مقدم على التعديل على اطلاقها بل الصواب أن من ثبتت امامته وعدالته وكثرمادحوه ومزكوه وندر جارحه وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه من تعصب مذهبى أوغيره لم يلتفت الى جرحه ثم قال بعد كلام طويل قد عرفناك أن الجارح لا يقبل منه الجرح وان فسره فى حق من غلبت طاعاته على معصيته ومادحوه على ذاميه ومزكوه على جارحيه اذا كانت هناك قرينة يشهد العقل بان مثلها حامل على الوقيعة فيه من تعصب مذهبى أو منافسة دنيوية كما يكون بين النظراء أوغير ذلك وحينئذ فلا يلتفت لكلام الثورى وغيره فى أبى حنيفة وابن أبى ذئب وغيره فى مالك وابن معين فى الشافعى والنسائى فى أحمد بن صالح ونحو ذلك قال ولو أطلقنا تقديم الجرح لما سلم لنا أحد من الائمة اذ مامن امام الا وقد طعن فيه طاعنون وهلك فيه هالكون قال ابن عبد البر هذا باب غلط فيه كثيرون وضلت فيه فرقة جاهلية لاتدرى ماعليها فى ذلك ثم قال الدليل

على انه لا يقبل فى حق من اتخذه جمهور الناس اماما فى الدين قول أحد من الطاعنين لان السلف قد سبق من بعضهم فى بعض كلام كثير فى حال الغضب ومنه ما حمل على الحسد ومنه ما حمل على التأويل مما لا يلزم المقول فيه شئ منه وذكر من كلام الصحابة والتابعين وتابعيهم من النظراء بعضهم فى بعض شيأ كثيرا لم يلتفت اليه أحد من العلماء ولا عولوا عليه لانهم بشر يغضبون ويرضون والقول فى الرضى غير القول فى الغضب فمن أراد أن يقبل قول العلماء بعضهم فى بعض فليقبل قول من ذكرنا من الصحابة بعضهم فى بعض وقول من ذكرنا من التابعين وأئمة المسلمين بعضهم فى بعض فان فعل ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا وخسر خسرانا مبينا وان لم يفعل ولن يفعل ان هداه الله وألهمه رشده فليقف عندما شرطناه فانه الحق الذى لا يصح غيره ان شاء الله تعالى ثم ذكر كلام كثيرين من نظراء مالك فيه وكلام ابن معين فى الشافعى قال وما مثل من تكلم فيهما وفى نظرائهما الا كما قال الحسن بن هانئ (شعر)

يا ناطح الجبل العالى لتكلمه ٭ اشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

ولقد أحسن أبو العتاهية حيث قال (شعر)

ومن ذا الذى ينجو من الناس سالما ٭ وللناس قال بالظنون وقيل

وقيل لابن المبارك فلان يتكلم فى أبى حنيفة فانشد (شعر)

حسدوك اذا ما فضلك الله بما فضلت به النجباء

وقيل ذلك لابى عاصم النبيل فقال هو كما قال أبو الاسود الدؤلى (شعر)

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه ٭ فالقوم أعداء له وخصوم

وروى أبو عمرو عن ابن عباس رضى الله عنهما خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم فى بعض فانهم يتغايرون تغاير التيوس فى الزريبة وفى رواية عنه استمعوا كلام العلماء ولا تصدقوا بعضهم فى بعض فوالذى نفسى بيده لهم أشد تغايرا من التيوس فى زروبها وكذلك جاء عن عمرو بن دينار ومن ثمة ذكر فى المبسوط فى مذهب مالك أنه لا يجوز شهادة القارئ على القارئ يعنى العلماء لانهم أشد الناس تحاسدا وتباغضا

﴿الفصل التاسع والثلاثون في رد ما نقله الخطيب في تاريخه عن القادحين فيه﴾ اعلم أنه لم يقصد بذلك الا جمع ما قيل في الرجل على عادة المؤرخين ولم يقصد بذلك انتقاصه ولا الحط من مرتبته بدليل انه قدم كلام المادحين وأكثر منه ومن نقل مآثره السابقة في أكثرها انما اعتمد أهل المناقب فيه على ما في تاريخ الخطيب ثم عقبه بذكر كلام القادحين ليتبين انه من جملة الأكابر الذين لم يسلموا من خوض الحساد والجاهلين فيهم ومما يدل على ذلك أيضا أن الأسانيد التي ذكرها القادح لا يخلو غالبها من متكلم فيه أو مجهول ولا يجوز اجماعا ثلم عرض مسلم بمثل ذلك فكيف بامام من أئمة المسلمين قال شيخ الاسلام الامام التقي ابن دقيق العيد أعراض الناس حفرة من حفر النار وقف على شفيرها الحكام والمحدثون وبفرض صحة ما ذكره الخطيب من القدح عن قائله لا يعتد به فانه ان كان من غير أقران الامام فهو مقلد لما قاله أو كتبه أعداؤه أو من أقرانه فكذلك لما مر أن قول الاقران بعضهم في بعض غير مقبول وقد صرح الحافظان الذهبي وابن حجر بذلك قالا ولا سيما اذا لاح انه لعداوة أو لمذهب اذ الحسد لا ينجو منه الا من عصمه الله تعالى قال الذهبي وما علمت عصرا سلم أهله من ذلك الا عصر النبيين والصديقين وقال التاج السبكي ينبغي لك أيها المسترشد أن تسلك سبيل الادب مع الائمة الماضين وان لا تنظر الى كلام بعضهم في بعض الا اذا أتى ببرهان واضح ثم ان قدرت على التأويل وتحسين الظن فدونك والا فاضرب صفحا عما جرى بينهم فانك لم تخلق لهذا فاشتغل بما يعنيك ودع ما لا يعنيك ولا يزال طالب العلم عندي نبيلا حتى يخوض فيما جرى بين السلف الماضين ويقضي لبعضهم على بعض فاياك ثم اياك ان تصغي الى ما اتفق بين أبي حنيفة وسفيان الثوري أو بين مالك وابن أبي ذئب أو بين أحمد بن صالح والنسائي أو بين أحمد والحارث بن أسد المحاسبي وهلم جرا الى زمان العز بن عبد السلام والتقي بن الصلاح فانك اذا اشتغلت بذلك خشيت عليك الهلاك فالقوم أئمة أعلام ولاقوالهم محامل وربما لم نفهم بعضها فليس لنا الا الترضي عنهم والسكوت عما جرى بينهم كما

نقول

تقول فيما جرى بين الصحابة رضوان الله عليهم

﴿الفصل الاربعون في ردّ ما قيل انه خالف فيه صرائح الاحاديث الصحيحة من غير حجة﴾ هذا باب واسع جدا يستدعي سرد جميع أبواب الفقه فلنشر الى قواعد اجمالية تنفع من استحضرها عند الادلة التفصيلية واعلم ان ممن زعم ذلك من المتقدمين سفيان الثوري وآخرين منهم الحافظ أبو بكر بن أبي شيبة الكوفي وشيخ البخاري وسبب صدور ذلك منهم انهم استروحوا ولم يتأملوا قواعده وأصوله اذ منها كما قاله الامام الحافظ أبو عمر بن عبد البر وغيره ان خبر الواحد لا يقبل اذا خالف الاصول المجمع عليها فحينئذ يقدم القياس عليه وقد اعتذر عن تقديمه القياس على خبر الواحد بان ذلك لو جب لا عبثا ولا ردا للحديث مع سلامته عن القوادح حاشاه الله تعالى من ذلك بل لموجب أي موجب اما كونه لم يطلع على الحديث أو لم يصح عنده أو كونه رواية غير فقيه وقد خالف القياس ومن ثمة ردّ واحديث أبي هريرة في المصرات لكن انتصر جماعة من الحنفية لما عليه أكثر العلماء من ان فقه الراوي ليس شرطا لتقديم الخبر على القياس قالوا وقد عمل أصحابنا بحديث أبي هريرة اذا أكل الصائم أو شرب ناسيا مع مخالفته للقياس حتى قال أبو حنيفة رحمه الله لولا الرواية لقلت بالقياس وقد ثبت عن أبي حنيفة انه قال ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين ولم ينقل عن أحد من السلف اشتراط فقه الراوي فثبت ان القول باشتراطه قول محدث قال بعضهم على ان أبا هريرة كان فقيها اذ لم يعدم شيأ من أسباب الاجتهاد وقد كان يفتي في زمن الصحابة وما كان يفتي في ذلك الزمن الا فقيه مجتهد وتبعه على ذلك الحيوي القرشي في طبقات الحنفية فقال انه من فقهاء الصحابة كما ذكره ابن حزم وقد جمع شيخنا شيخ الاسلام التقي السبكي فتاويه في جزء سمعته منه انتهى واما عمل الراوي بخلاف مرويه لانه يدل على النسخ أو نحوه ومن ثمة أخذوا بعمل أبي هريرة بالغسل من ولوغ الكلب ثلاثا مع روايته السبع وبقول ابن عباس ان المرتدة لا تقتل مع روايته من بدل دينه فاقتلوه واما

عموم البلوى به بأن يحتاج كل واحد الى معرفته لأن العادة تقتضي استفاضة نقل مثله فانفراد واحد به قدح فيه ومن ثمة لم يأخذوا بخبر نقض الوضوء بمس الذكر الذي يرويه بسرة مع عموم الحاجة الى معرفته وأما كونه يرد في حد أو كفارة لسقوطهما بالشبهة واحتمال خطأ الراوي المنفرد به شبهة وأما مخالفته للقياس الجلي أو الذي عضده حديث آخر وأما طعن بعض السلف فيه كخبر القسامة وأما وقوع الاختلاف بين الصحابة في مسئلة ورد فيها خبر الواحد ولم يحتج أحد منهم به فاعراضهم عن الاحتجاج به مع شدة عنايتهم بالأحاديث دليل على نسخه أو نحوه مثاله خبر الطلاق بالرجال فانهم اختلفوا في ذلك فقال جماعة يعتبر في ملك الزوج لعدده حرية الرجل ورقه منهم الشافعي وآخرون بحرية المرأة ورقها منهم أبو حنيفة وآخرون يعتبر بمن رق منهما وأما مخالفته أعني خبر الواحد لظاهر عموم القرآن لأن أبا حنيفة لا يرى تخصيص عمومه ولا نسخه بخبر الواحد لأنه ظني وذلك يقتضي وتقديم أقوى الدليلين وأجيب من ذلك خبر لا صلاة الا بفاتحة الكتاب مخالف لعموم (فاقرؤا ما تيسر منه) وأما مخالفته للسنة المشهورة لأن الخبر المشهور أقوى من خبر الآحاد كخبر الشاهد واليمين فانه مخالف لعموم الخبر المشهور البينة على المدعي واليمين على من أنكر وأما كونه زائدا على القرآن كهذا فان الذي في القرآن رجلان أو رجل وامرأتان فالشاهد واليمين زائد عليهما اذا تقرر ذلك علم منه نزاهة أبي حنيفة رحمه الله مما نسبه اليه أعداؤه والجاهلون لقواعده بل لمواقع الاجتهاد من أصلها من تركه لخبر الآحاد بغير حجة وانه لم يترك خبرا الا لدليل أقوى عنده وأوضح قال ابن حزم جميع الحنفية مجمعون على ان مذهب أبي حنيفة ان ضعيف الحديث عنده أولى من الرأي فتأمل هذا الاعتناء بالأحاديث وعظيم جلالتها وموقعها عنده ومن ثمة قدم العمل بالأحاديث المرسلة على العمل بالقياس وأوجب الوضوء من القهقهة مع انها ليست بحدث في القياس للخبر المرسل فيها ولم يقل بذلك في صلاة الجنازة وسجود التلاوة اقتصارا مع النص فانه انما ورد في الصلاة

ذات الركوع والسجود وقد قال المحققون لا يستقيم العمل بالحديث بدون استعمال الرأي فيه اذ هو المدرك لمعانيه التي هي مناط الاحكام ومن ثمة لم يكن لبعض المحدثين تأمل لمدرك التحريم في الرضاع قال بان المرتضعين بلبن شاة تثبت بينهما الحرمية ولا العمل بالرأي المحض ومن ثمة لم يفطر الصائم بنحو الاكل ناسيا وافطر بالاستقاءة مع ان القياس في الاول الفطر لوجود ما يضاد الصوم وفي الثاني عدمه لان الصوم انما يفسده ما دخل دون ما خرج ﴿خاتمة﴾ قد بان لك واتضح ان الامام أبا حنيفة رحمه الله انما ترك بعض خبر الآحاد لهذه القواعد والاعذار التي أشرنا اليها ونبهناك عليها فاحذر ان تزل قدمك مع من زل أو يضل فهمك مع من ضل فانك اذا تحسر أعمالك مع جملة من خسر وتذكر بالسوء والفضيحة مع من بهما ذكر وتتعرض لامر أمر لا طاقة لك بحمل ضرره وترتبك في قفر مدلهم لا قدرة لك على النجاة من خطره فبادر الى السلامة ما استطعت اليه سبيلا وكن ممن سلك منها سبيل النجاة ودعا اليها بكرة وأصيلا وحفظ باطنه وظاهره عن ان يخوض في أحد من المسلمين بما يزن نقيرا أو فتيلا فان الله يخذلك خذلانا مبينا ويهينك هوانا عظيما سنة الله التي قد خلت في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا وقد جهد كثيرون ممن تعرضوا لسهام القطيعة وتحلوا بالصفات القبيحة الفظيعة على ان يحطوا من مرتبة هذا الامام الاعظم والحبر المقدم ويصرفوا قلوب أهل عصره ومن بعدهم عن محبته وتقليده واتباعه واعتقاد عظمته وامامته فما قدروا على ذلك ولا يفيد كلامهم فيه في مسألة من المسائل ليس ذلك الا لان أمره أمر سماوي لا حيلة لاحد في رفعه من يرفعه الله تعالى ويعطيه من خزائنه الواسعة لا يقدر أحد على خفضه ولا منعه جعلنا الله ممن قام بما للائمة من الحقوق ولم يتدنس بشيء من القطيعة والعقوق وعرف لكل ذي حق حقه وأداه كما يجب وشملته عين العناية كما يجب ولم يحف في جنب نصرة مصابيح الدجى ونجوم السماء لومة لائم حرم التوفيق ولا تفيهق محروم هوى به تعصبه في مكان سحيق ولا غيظ

بمعوث شمله برأيه الحصيف حتى حظى من آثر انواع الانسانيه
والتشريف فضراعة اليك اللهم ان تمتعنا من تمام معرفتك [illegible]
لا سيما اكابر السلف الماضين الذين شهد لهم بالصدق المشفق [illegible]
خير القرون المبرئين من كل وصمة تكتب على رقمهم [illegible]
بما هم منه بريئون ومن اثنى الله عليهم في كتابه العزيز بالثناء الكامل [illegible]
بقوله عز قائلا (والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين
سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم) وان
تحشرنا معهم فانا نحبهم ومن احب قوما حشر معهم وان تحشرنا في زمرتهم
وتجعلنا في جملة تلامذتهم وتفيض علينا من صالح معاملاتهم واحوالهم الباهرة
وكراماتهم الطاهرة المتكاثرة حتى نكون من جملة اتباعهم وجملة اشياعهم
انك انت الجواد الكريم الرؤف الرحيم فلك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك
وعظيم سلطانك القديم ولك الشكر الكامل اذ اهديتنا الى شرع تحت اشارته
ارباب [illegible] وجعلتنا من اهل ملته وصل اللهم وسلم وبارك افضل صلاة
وافضل سلام وافضل بركة على افضل الخلق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عدد
معلوماتك ابدا ومداد كلماتك سرمدا كلما ذكرك وذكره الذاكرون
وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون سبحان ربك رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

قد كمل بعون الملك المنان طبع كتاب الخيرات الحسان في مناقب الامام
الاعظم ابي حنيفة النعمان بالمطبعة الخيريه المنشأة بجوش عطى بجمالية
مصر المحميه ملك المتوكلين على رب الارباب حضرة الشيخ [illegible] عبد
الواحد الطوبى وحضرة السيد عمر حسين الخشاب تصحيح ذى التقصير
احمد المكتبي على ذمة الشاب الامجد والنبيه الاوحد حضرة علي افندي
الخربوتي وذلك في شهر الحجة
سنة ١٣٠٤ هجريه